محمد السماك
الدين
في القرار الأميركي
ANNUIT COEPTIS
MDCCLXXVI
NOVUS ORDO SECLORUM
دار النفائس
مكتبة المهتدين الإسلامية


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين





الدين
في القرار الأمريكي

بسم الله الرحمن الرحيم



الدين
في القرار الأمريكي

تأليف

محمد السماك

دار النفائس

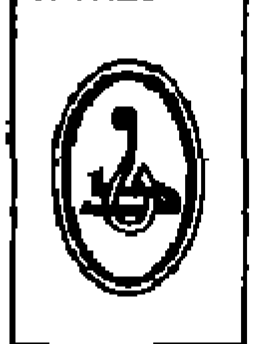
الدين في القرار الأمريكي

تأليف: محمد السماك

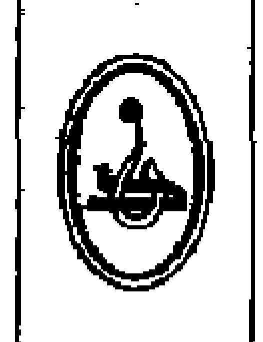
الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م

ISBN 9953 - 18 - 091 - 1

نشر	publisher



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب 5152 ـ 14
الرمز البريدي: 2020 ـ 1105
فاكس: 009611861367
هاتف: 803152 ـ 0096118l0194
بيروت ـ لبنان



DAR AN-NAFAES
Printing-Publishing-distribution
Verdun Str - Safiedine bldg.
P.o.Box 14-5152
Zip code 1105-2020
Fax: 009611 861367
Tel: 00961 1 803152 - 810194.
Beirut - Lebanon

Web Site: WWW.alnafaaes.com

Email: alnafaes@alnafaes.com

تقديم الناشر

من الإعجاب إلى الكراهية

من حقِّنا أن نكره الولايات المتحدة، أقصد الإدارة الأميركية، وأعوانها ومؤيديها من المسيحيين الصهيونيين، وتجار الحروب، وأمثالهم. ومن حق الشعب الأميركي علينا أن نصارحه بأسباب هذا الكره ونلفته إلى الظلم الذي تلحقه بنا بلاده، وبخاصة أننا في أوائل الأربعينات، ولغاية تبنِّيها قرار تقسيم فلسطين، كنا من المعجبين بالولايات المتحدة، ونهتف لها في مظاهراتنا، لأنها كانت تمثِّل في نظرنا مبادئ ولسن الأربعة عشر التي تعني حرية البشر، وحق تقرير المصير للشعوب المستعمَرة التي كنا منها، فهل كنا على خطأ؟ أو أننا علمنا عنها شيئاً وغابت عنا أشياء(!).

ما الذي جرى خلال نصف قرن من الزمن، فجعل الولايات المتحدة أقبح وجه مستغلٍّ في العالم، وغدت مستعبدة الشعوب، وعدوة حريتها؛ لا تقيم للعدالة وزناً، ولا للأخلاق قيمة، وفقدت المثلَ كلَّها بشهادة كثير من مثقفيها، وأحرارها؛ والأمثلة على ذلك لا تعدُّ ولا تحصى، مما يرد في الكتب والمقالات التي تصدر فيها يومياً.

أظن أنه من أسباب النزعة العدوانية المستغِلَّة، والانهيار الأخلاقي الذي تشهده الولايات المتحدة، سيطرة اليهود على إعلامها واقتصادها، وابتداعهم عقائد دينية غريبة وجدت قبولاً عند بعض الأميركيين،

وبخاصة الساعين منهم إلى المناصب والسلطة والمال، فالمعروف أن إرضاء اليهود هو طريق هؤلاء للوصول إلى مبتغاهم.

والغريب في الأمر أن اليهود استطاعوا الوصول إلى أهدافهم على الرغم من معرفة نواياهم مسبقاً، وتحذير كثير من زعماء الولايات المتحدة ومفكريها منهم، ولعلَّ أوضح مثل على ذلك ما جاء في خطاب «بنيامين فرانكلين» أحد زعماء الاستقلال في أثناء وضع الدستور الأميركي (سنة ١٧٨٩) حيث قال: «أيها السادة: في كل أرض حلَّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا الذمَّة التجارية فيها...

إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنصٍّ دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة سنة إلى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمِّروه.. ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظلُّ اليهود في البيوتات المالية، يفركون أيديهم مغتبطين»[1].

لا شك أن ما قاله الزعيم الأميركي نبوءة رجل ملهم تحققت، وتحقق أكثر منها، فغدا أبناء الولايات المتحدة يخوضون الحروب بالنيابة عن اليهود ويضحُّون بدمائهم في سبيل «الكيان الصهيوني»، كما حدث في الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على العراق في آذار سنة ٢٠٠٣م، وغدا حلف تجار الحروب، من أصحاب رؤوس الأموال من يهود وأميركان متصهينين، أمراً واقعاً يهدِّد البشرية كلها بالدمار والخراب.

فكل الناس يعلمون أن صدام حسين كان من المقربين إلى الولايات المتحدة، عندما كان يحارب الثورة الإسلامية في إيران بالنيابة عنها، وكان

(١) حكومة العالم الخفية، شيريب سبيرودوفيتش، ترجمة مأمون سعيد، تقديم وتحرير أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ص ٣١.

عنصر استقرار في نظرها، يستحق أن تغضَّ النظر عن كل ما يفعله بشعبه وغير شعبه، وتنصح دول البترول بتقديم العون له، حتى إذا ما هدد العدو المحتلَّ بالكيماوي المزدوج بدأت متاعبه.. وأما عندما أخذ يدفع عشرة آلاف دولار لعائلة كل شهيد من شهداء الانتفاضة، ويبني كل بيت يهدمه الغاصبون، في محاولة لدعم صمود الشعب الفلسطيني في وجه العدوان الغاشم لتحسين صورته لدى شعبه والشعوب العربية التي ذاقت منه الأمرين، هنا اتخذ القرار النهائي بإزاحته، وبدأ الإعلام يُظهِر ما كان يستره من عيوبه، لأن الولايات المتحدة لا تبيح لعميل أو صديق أن يتصرف لحسابه، ولو بشيء يسير من السلطة التي خوَّلته إياها أو ساعدته فيها. ولم تجد الولايات المتحدة غضاضة في مخاصمة شعوب العالم كله، وثلثي حكوماته والمحاربة بالنيابة عن الكيان الصهيوني دعماً لسياساته، ولإملاء جيوب تجار الحروب، من يهود وممن تهوَّد في العقيدة، ومن دون حساب لأعداد القتلى من الطرفين، ويلاحظ في هذا السياق أنها لم تسقطه عندما اعتدى على الكويت.

أصل البلاء

ومكمن الخطورة هنا ظهور المسيحيين الصهيونيين، ممن خدعتهم الصهيونية بعقائد زائفة يشرحها هذا الكتاب[(١)]، وربَّتهم على أخلاق تنطلق من الوعد والاختيار، حتى أصبح جزء كبير من الأميركيين يشعر أنه من شعب الله المختار، اختاره لفرض مشيئته على الأرض، يمتاز عن بقية البشر، ولا يقيم لهم وزناً، ولا يراعي في استغلالهم وخداعهم ذمة ولا أخلاقاً.

ألا يحق لنا بعد هذا أن نكره سياسة الولايات المتحدة، ونحن في واقع الحال لا نعدو أن نبادلها ظلماً بكره، بل هي أشد كرهاً لنا وحقداً علينا.

---

(١) وانظر أيضاً كتاب: الصهيونية المسيحية، محمد السماك، دار النفائس ـ بيروت.

فهي بعدما غدت سيدة العالم وقطبه الوحيد افترضنا فيها شيئاً من العدالة والأخلاق، فإذا بها تختلق عدواً سمته الإرهاب، وقصدت الإسلام، وأخذت توزع الاتهامات على الأصدقاء قبل الأعداء. فهذا يؤوي إرهابيين، وذاك يسعى للحصول على أسلحة دمار شامل، وذلك يتجاهل حقوق الإنسان ولا يؤمن بالديمقراطية. وكل أكاذيبها غدت مفضوحة أكثر من ديمقراطيتها، بينما «إسرائيل» تدوس كل القيم، وتقتل حتى الأميركان من دعاة السلام دهساً بالجرارات، وتتجسس على أدق تفاصيل التسليح الأميركي، وتخزِّن من أسلحة الدمار الشامل ما يكفي لتدمير الولايات المتحدة ذاتها، ويتبرع سادة أميركا للدفاع عنها وعن سلوكها، مما يجعلنا عاجزين عن إيجاد أي مسوِّغ لهذا السلوك سوى الظن بأن القابضين على مقاليد الأمور في الولايات المتحدة فئة من الأشرار المستغلين الخائفين على مصيرهم لكثرة فضائحهم، التي يستطيع الإعلام اليهودي نشرها في أي وقت يشاء، وكأن ما جاء في البروتوكول العاشر من بروتوكولات حكماء صهيون ينطبق على معظم ساسة أميركا حيث يقول: «ولكي نحقق مخططنا سوف نتدخل في انتخابات رؤساء يكون ماضيهم مربوطاً بفضيحة ما، ليكونوا أوفياء في تنفيذ أوامرنا خوفاً من أن يفضح أمرهم».

إن كل واحد منا يشعر بالخطر الذي يهددنا ويهدد العالم كله نتيجة سلوك الإدارة الأميركية. فهي تشن حرباً لا يعرف مبتداها ولا منتهاها إلا الله، على عدو خلقته بحقدها وإرهابها. وطالما حذَّر العقلاء من أن مكافحة الإرهاب بالإرهاب ستُنْتِجُ إرهاباً أعنف وأشد، وأن هذه الحرب إن عرفت الإدارة الأميركية كيف تبدؤها فلن تعرف كيف تنهيها، مما يدعونا إلى التذكير بالمبادئ الأخلاقية التي يمكنها وحدها أن تعيد العقل إلى الذين فقدوه.

فقليل من التفكير في دوافع هذا الذي يفجِّر جسده ليقتل نفسه وغيره، يؤدي إلى الاقتناع بأنه لو لم يوضع في موقع يجعله يكره الحياة لما فعل بنفسه قبل غيره ما يفعل. فالحياة أكثر ما يتشبث به الإنسان، ولا ينكر ذلك إلا جاهل بالطبيعة البشرية.

ما هو الحل

من واجب العقلاء والمثقفين والمعتدلين، إنقاذاً للبشرية، أن يرفعوا الصوت عالياً لإفهام الشعب الأميركي، وعملاء أميركا، ومؤيدي سياساتها أن القضاء على الإرهاب لا يكون إلا بالقضاء على أسبابه.

ولئن كان بعض الزعماء في الولايات المتحدة يتخذون من فرعون وقارون وهامان، من طواغيت الأيام الغابرة، مثلهم العليا، ويظنون أنفسهم يحيون ويميتون، فالأمل فيهم مفقود، لأنهم لم يتعظوا بما حل بأمم سبقتهم كانت أشد عتواً وقوَّة. لكن الواجب لا يعفي من النصح والإرشاد، والتوجه الفعلي يجب أن يكون باتجاه الأخيار من مختلف شعوب الأرض، بمن فيهم الأميركان، للعمل على إعادة القادة الأميركيين إلى صوابهم، واليهود إلى بلادهم التي هاجروا منها، ليعيش أهل فلسطين (المقيمون والعائدون) من عرب (مسلمين ومسيحيين) ويهود، في بلد حرٍّ تسوده العدالة والحرية والمساواة.

ولن أدخل في تفصيلات ما ورد في هذا الكتاب، من أثر للدوافع الدينية التي ابتدعها يهود واتبعها بعض المسيحيين الإنجيليين، في القرارات السياسية الجائرة التي تتخذها الولايات المتحدة، وسلوكيات عدد من رؤساء الجمهورية، والزعماء السياسيين فيها، فالكتاب بين يدي القارئ، وهو سيقدِّر الانحراف والخطر.

وأما مؤلفه، الذي يفضِّل ألا يتحدث عن نفسه، فهو مفكر مسلم، يعي مسؤوليته، وجندي مجهول، يعمل في التقريب بين المذاهب،

والحوار بين الأديان، زار معظم البلدان، وشارك في كثير من اللقاءات والاجتماعات الحوارية المتعلقة بهذا الموضوع، وله مؤلفات قيِّمة عدة، وهذا ما جعله يتعمق في دراسة مذهب «الصهيونية المسيحية» نظراً لدور هذا المذهب في السياسة الأميركية ومجافاتها للعقلانية والعدل. وربما يكون قد اختصر ما توصل إليه في هذا الكتيب الصغير بحجمه، الكبير في مضمونه.

أحمد راتب عرموش

مقدمة الطبعة الأولى

على الرغم من أن دستور الولايات المتحدة الأميركية ينصُّ على فصل الدين عن الدولة، فإن دور الدين لم يغب عن عملية اتخاذ القرار السياسي الأميركي، خاصة عندما كان القرار يتعلق بالشرق الأوسط. إلا أن هذا الدور كان يتراجع إلى حدِّ الانحسار، أو يتقدم إلى حد الانفجار، تبعاً لمدى ابتعاد أو اقتراب الرئيس الأميركي نفسه من حركة الأصولية الإنجيلية الأميركية التي تطلق على نفسها اسم «الصهيونية المسيحية».

سبق لي أن اشتغلت على ثلاثة كتب عن هذه الحركة، فألَّفتُ كتاب «الصهيونية المسيحية» وترجمت كتابين عن الإنكليزية للكاتبة الكبيرة المرحومة غريس هالسل Grace Halsell، التي عملت في البيت الأبيض كاتبة لخطابات الرئيس الأسبق ليندون جونسون.

الأول: هو «النبوءة والسياسة» Prophecy and Politics.

والثاني: هو «يد الله» Forcing God's hand.

«Why Millions Pray for a Quick Rapture and Destruction of Planet Earth».

وقد صدرت عدة طبعات عن كل من هذه الكتب عن دار النفائس في بيروت وعن دار الشروق في القاهرة.

هنا أود أن أسجِّل الملاحظة التالية، وهي أن الكثيرين من المفكرين السياسيين ومن المهتمِّين بالشأن السياسي العام لم يأخذوا أدبيات هذه

الحركة الصهيونية المسيحانية مأخذاً جدياً، بعضهم سخر منها، وبعضهم الآخر قلَّل من أهميتها، وأكثرهم تجاوز عن خطرها، إلى أن تولى الرئيس الأميركي جورج بوش الابن سلطة الرئاسة في الولايات المتحدة.

فقد استلهم مواقفه سواء بإعلان الحرب العالمية على الإرهاب، بعد ونتيجة للعمل الإرهابي المروع الذي استهدف مدينتي نيويورك وواشنطن في ١١/ ٩/ ٢٠٠١م؛ أو بإطلاق يد الجنرال شارون، رئيس الحكومة الإسرائيلية، لارتكاب المجازر الجماعية ضد الشعب الفلسطيني وانتفاضته في الضفة الغربية وغزة؛ أو بإعلان الحرب على العراق واحتلاله. استلهم هذه المواقف، من أدبيات هذه الحركة التي يؤمن بها كما يقول قساوستها المقرَّبون منه، وكما يقول هو نفسه أيضاً. أما محور أدبيات هذه الحركة فهو الإيمان بنهاية كارثية كونية قريبة يكون الشرق الأوسط مسرحها.

وثمة ملاحظة ثانية لا بدَّ منها تتعلق بالصفة «المسيحية» لهذه الحركة. إن المسيحية في قِيَمها ومثلها وتعاليمها تتناقض كل التناقض مع ما تدعو إليه هذه الحركة من تعاليم وما تبثُّه من قيم، ثم إنها حركة تتهجَّم على الكاثوليكية وتتطاول على البابا، وهي تتنكر ليس فقط للكنائس المسيحية المشرقية وخاصة الأرثوذكسية، ولكنها، كأي حركة أصولية دينية أخرى، تعتبر كل من هو خارجها محروماً من نعمة الخلاص.

أما الملاحظة الثالثة فتتعلق بـ «إنجيليتها». صحيح أن هذه الحركة خرجت أساساً من التيار الديني الإنجيلي العام، إلا أنها خرجت عليه أيضاً، حتى إن الكنائس الإنجيلية الكبرى تقف من هذه الحركة، لاهوتياً وسياسياً، موقفاً سلبياً ورافضاً، كالكنيسة المشيخية، والكنيسة الميثودية وسواهما، ويلتزم بهذا الموقف أيضاً المجلس الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة، الذي يضم مجموعة كبيرة من الكنائس الإنجيلية إلى جانب الكاثوليكية والأرثوذكسية.

كان لا بدَّ من هذه الملاحظات الثلاث لفهم التباين الكبير بين مواقف الحركة الصهيونية المسيحانية وبين الكنائس الأميركية المختلفة الأخرى، من قضايا الشرق الأوسط عامة، وتحديداً من الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

إن بيانات التعاطف مع الشعب الفلسطيني، وبيانات رفض وشجب الحرب على العراق، وبيانات التنديد بمبدأ العقاب الجماعي رداً على عملية ١١/٩/ ٢٠٠١م، التي صدرت عن رؤساء الكنائس منفردين، وعن المجالس الكنسية الأميركية والعالمية مجتمعة، تتناقض مع الدور الذي مارسته هذه الحركة في التأثير المباشر على عملية صياغة القرارات الأميركية تعاطفاً مع إسرائيل وتغطية لجرائمها، ودفعاً للولايات المتحدة نحو الحرب على العراق، وبجعل الحرب على الإرهاب حرباً على الإسلام.

لقد التزمتُ في هذا العمل على تجنُّب ترداد ما ورد في كتبي الثلاثة، وعندما اضطررتُ إلى الإشارة إليها اكتفيتُ بتسجيل ذلك في الحاشية.

لم أتحدث عن الصهيونية ـ اليهودية إلا لماماً، فموضوعي هنا هو عن الصهيونية غير اليهودية. ولقد تناولت بدايات ومنطلقات وأدبيات هذه الحركة في كتابي «الصهيونية المسيحية»، ولذلك لم أشأ العودة إليها مرة جديدة. فركزتُ في هذا الكتاب على مقوِّمات الربط بين الدين والسياسة في عقيدة هذه الحركة ابتدأ من القرن الثامن عشر، كمدخل لفهم البعد الديني في القرار الأميركي المعاصر.

وقدمتُ نماذج عن مدى تأثير هذه الحركة في صناعة القرار السياسي الأميركي في عهود رؤساء أميركيين سابقين، وخاصة رونالد ريغان وجيمي كارتر كمدخل إلى عهد الرئيس جورج بوش الابن.

وفي اعتقادي أن إلقاء الضوء بموضوعية علمية جادة على خلفية القرار الأميركي في الشرق الأوسط، وعلى دور الحركة الصهيونية المسيحانية (الصهيونية المسيحية) في بلورته وحتى في صناعته، يمكن أن ينير الطريق

أمام المسؤول العربي، وأمام الباحث العربي، لفهم المشاكل التي تواجه العلاقات العربية الأميركية والإسلامية ـ الأميركية، بعمق وبشمولية، ومن ثم لمقاربتها ـ وتالياً لمحاولة تحسينها وإصلاحها ـ من غير زاوية المصالح سلباً أو إيجاباً، وبكيفية مختلفة عما جرى حتى الآن.

ملاحظة أخيرة لا بدَّ منها، أجد من المفيد التأكيد عليها رغم أنني أشرتُ إليها في كتابي «الصهيونية المسيحية»، وهي أن هذه الحركة على الرغم من النفوذ القوي الذي تتمتع به في الولايات المتحدة، فإن التيار المسيحي الأميركي العام معارض لها، كما أن رؤساء أميركيين كثيرين أبعدوها وابتعدوا عنها، مثل الرؤساء دوايت أيزنهاور، وجورج بوش الأب وبيل كلنتون، وهذا يعني أن ثمَّة آفاقاً مفتوحة أمام العالميْن العربي والإسلامي للعمل وللتحرك، ولرفض منطق الاستسلام للأمر الواقع.

ثم إن الكنائس في العالم العربي، الكاثوليكية والأرثوذكسية والقبطية والإنجيلية، قادرة ومؤهلة لأن تلعب دوراً إيجابياً وبناءً في العمل المشترك من أجل إقامة شبكة من العلاقات العربية ـ الأميركية، والإسلامية ـ المسيحية داخل الولايات المتحدة نفسها، وخارجها، من شأنه أن يكبح جماح حركة الصهيونية بوجهيها اليهودي والمسيحاني.

إن العلاقات العربية ـ الأميركية علاقات مريضة، وقد اشتدَّ هذا المرض بعد عملية نيويورك وواشنطن الإرهابية، وبعد الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية وغزة وبعد غزو أفغانستان، وبعد الحرب على العراق. ولأنه لا مصلحة للعالميْن العربي والإسلامي باستعداء أميركا، أو بإفساح المجال أمام إسرائيل للاستفراد بصداقتها، ومن ثم لتأليبها ضد قضايانا ومصالحنا، فإن من الحكمة تشخيص المرض ومعالجته، وأمَلي هو أن يساهم هذا الكتاب في عملية التشخيص.. بهدف المعالجة وليس الاستسلام للمرض.

محمد السمّاك

بيروت ٦ ـ ٥ ـ ٢٠٠٣

الصهيونية الأميركية
بين السياسة واللاهوت

أول من استخدم عبارة «الصهيونية» في العصر الحديث كان ناثان بيرينبوم Nathan Birnbaum، كان ذلك في عام ١٨٩٢م، وكان يومها طالباً في ڤيينا[١]، وقد سبق له أن وضع في عام ١٨٨٢م كتيِّباً عارض فيه فكرة تذويب اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، ثم شارك في العام التالي ١٨٨٣م في إنشاء جمعية «كاديما ـ Kadimah»، وهي أول جمعية يهودية أخوية بين الطلاب في ڤيينا.

كان بيرينبوم عضواً في مؤسسة يهودية خيرية تدعى «شوفافي زايون»Chovevei zion، تشكّلت في عام ١٨٨٠م، لتشجيع هجرة اليهود المضطهدين في أوروبا الشرقية إلى فلسطين.

وفي عام ١٨٩٣م نشر كتيِّباً آخر بعنوان «الانبعاث القومي للشعب اليهودي في وطنه كحل للمشكلة اليهودية»، وقد طرح في الكتيِّب أفكاراً ومبادىء «للوطنية اليهودية» تبنَّاها، فيما بعد، ثيودور هرتزل رئيس المؤتمر الصهيوني الأول في بال ـ سويسرا في عام ١٨٩٧م، وذلك في كتابه «دير جودنستات» الذي نُشر قبل هذا المؤتمر بعام واحد.

(١) Walter Laqueur, A History of Zionism (London, Weidenfed Nicolson, 1972) P. 589.

أما الصهيونية اليهودية (المسيحانية) فإنها ترتبط، بصورة مباشرة، بعدد من الحاخامين أمثال الحاخام **كوك ألدر**، والحاخام خان، كما ترتبط بحركة غوش إيمونيم وجبل الهيكل، وقد انتعشت في عام ١٩٦٧م، بعد احتلال القوات الإسرائيلية لمدينة القدس ونتيجة لهذا الاحتلال، وتقول الصهيونية اليهودية بأن الله أعطى اليهود تفويضاً مطلقاً لتدمير الفلسطينيين، واسترجاع الأرض الموعودة منهم.

في عام ١٩٧٥م، صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣٧٩ الذي نصَّ على اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وتحت ضغط الولايات المتحدة أُلغي هذا القرار فيما بعد.

أما تعبير «الصهيونية المسيحية» فإن أول من استعمله كان ثيودور هرتزل في وصفه لمؤسس الصليب الأحمر الدولي هنري دونانت Henry Dunant. وكان دونانت من الأثرياء الذين مدُّوا يد العون إلى الحركة الصهيونية اليهودية، وكان واحداً من شخصيات مسيحية قليلة جداً لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة دُعيت إلى المؤتمر الصهيوني الأول في بال ١٨٩٧م.

وكان تعريف «الصهيوني المسيحي» في ذلك الوقت، بأنه «المسيحي الذي يدعم الصهيونية»[١].

غير أن هذا المعنى أخذ بعداً دينياً فيما بعد، وهو أن المسيحي الصهيوني هو «إنسان مهتم بمساعدة الله لتحقيق نبوءاته من خلال الوجود العضوي والسياسي لإسرائيل، بدلاً من مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلي من خلال جسد المسيح»[٢].

---

(١) Colin Chapman, Whose promised land, Israel or Palestine? revised edition (Oxford, Lion, 2002) P. 274.

(٢) Louis Bahjat Hamada, Understanding the Arab World, (Nashville, Nelson, 1990) P. 189.

ولذلك يقول كولن شابمان Colin Chapman: «من الصعب التفكير بوجود حالة أخرى في العالم حيث السياسة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين، وحيث للنصوص الدينية هذا التأثير العميق على العمل السياسي»[١].

ولتوضيح هذا الارتباط يقول والتر ريغانز، أحد قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية: «إن الصهيونية التوراتية التي هي بالتأكيد أمنية كل مسيحي، تتعلق، بشكل أساسي، بالله وبأهدافه، ولذلك تُفهم الصهيونية، من خلال الرؤية المسيحية، على أنها جزء من اللاهوت الديني وليست جزءاً من السياسة.. وأن دولة إسرائيل هي مجرد البداية لما يفعله الله من أجل الشعب اليهودي ومن خلال الشعب اليهودي»[٢].

وهو يرى أيضاً: «إن من واجب المسيحيين ليس دعم إسرائيل فقط، إنما عليهم دعم سياستها أيضاً. وهذا يعني أن عليهم، من حيث المبدأ، دعم إسرائيل باعتبارها إشارة إلهية لرحمة الله واستجابة لإرادته، وعلى أنها تشكل إشارة توراتية بأن الله منشغل جداً في قضايا هذا العالم»[٣].

تلتقي الحركتان، الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية، حول مشروع إعادة بناء الهيكل اليهودي في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، يوضح ذلك الحاخام شلومو أفينري بقوله: «علينا أن لا ننسى أن الهدف الأسمى من تجميع اليهود من المنافي ومن إقامة دولتنا (إسرائيل) هو بناء الهيكل. إن الهيكل يقع في رأس الهرم»[٤].

---

(١) Chapman, P. 304.

(٢) Walter Riggans, The Covenant with The Jews, (Tunbridge Wells, Monarch, 1992) PP. 91 - 93.

(٣) Walter Riggans, Israel and Zionism (London, Handsell Press, 1988). P. 21.

(٤) غريس هالسل - يد الله، ترجمة محمد السمّاك، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٧١.

ويوضح حاخام آخر، هو إسرائيل ميدا، العلاقة أو الصلة بين السياسة واللاهوت في الصهيونية ـ اليهودية بقوله: «إن الأمر كله هو السيادة، ذلك أن من يهيمن على جبل الهيكل، يهيمن على القدس، ومن يهيمن على القدس، يهيمن على أرض إسرائيل»[1].

لقد احتلّت إسرائيل الأرض الفلسطينية في عام ١٩٤٨م، واحتلت القدس في عام ١٩٦٧م، وهي تتطلع لبناء الهيكل. وفي نظر الحركتين الصهيونيتين فإن الأمور الثلاثة ـ الأرض والقدس والهيكل ـ أمور متداخلة، وإن الهدف المشترك الذي تعمل الحركتان على إنجازه هو تحقيق هيمنة يهودية كاملة على كل فلسطين (الأرض الموعودة) وخاصة على جبل الهيكل. وفي اعتقاد الصهيونية المسيحية «إن من شأن ذلك أن يؤدي إلى تعميم البركة الإلهية على العالم كله، في الوقت الذي تقرُّ الأمم وتتجاوب مع ما يقوم به الله في إسرائيل ومن خلالها»[2].

---

(١) غريس هالسل ـ يد الله ص ٦٨.

(٢) Biblical Zionism, Cutting Edge Theology For The Last Days, Word from Jerusalem, International Christian Embassy, Jer. Sep. 2001. P. 9.

أدبيات الصهيونية المسيحية

استناداً إلى غريس هالسل، فإن الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة تتمتع بحضور إعلامي قوي، حيث تملك وتشرف مباشرة على مائة محطة تلفزة وعلى ألف محطة إذاعية؛ كما أنها تتمتع بانتشار واسع النطاق، حتى إنها تبدو أكثر الكنائس الأميركية توسعاً، إذ يعمل في ميدان التبشير ٨٠ ألف قسيس، وفي حقبة الثمانينات وحدها تمَّ إنشاء ٢٥٠ مؤسسة وجمعية دينية أميركية مؤيدة لإسرائيل في إطار برامج الصهيونية المسيحية[١].

ومن أبرز قساوسة هذه الحركة:

* هال ليندسي، مؤلف كتاب The Last Great Planet Earth.
* جيري فولويل، مؤلف كتاب Listen America.
* بات روبرتسون، مؤلف كتاب The New Millennium.
* تشارلز داير، مؤلف كتاب The Rise of Babylon, Signs of the End of Times.
* مايك إيفنز، مؤلف كتاب America's Key to Survival.
* جون والفورد، مؤلف كتاب Israel in Prophecy.
* ديف هانت، مؤلف كتاب The Cup Trembling: Jerusalem and Bible Prophecy.

---

(١) غريس هالسل، يد الله، ص ١٥٨.

ولهذه الحركة حضور قوي في بريطانيا أيضاً مجسداً في قساوسة، من أبرزهم:

* دافيد بوسون، مؤلف كتاب The Next 1000 Years.
* ديرك برنس، مؤلف كتاب The last Word on the Middle East.
* لانس لامبرت، مؤلف كتاب The Battle for Israel.
* والتر ريغانز، مؤلف كتاب Israel and Zionism.

إن قراءة عناوين بعض الكتب الواسعة الانتشار، التي كتبها هؤلاء القساوسة، تعطي فكرة عن مدى تشدُّدهم في ربط الفكر الديني بالموقف السياسي من إسرائيل ومن القضية الفلسطينية.

من هذه العناوين:

* الثمانينات والعد العكسي لهرمجيدون.

Hall Lindsay, The 80s and The Count Down to Armageddon.

* الطريق إلى المحرقة. H. Lindsay, The Road To Holocaust.
* المعركة الأخيرة. H. Lindsay, The Final Battle.
* العرب والنفط وهرمجيدون.

Edgar E. James, Arabs, Oil, and Armageddon.

* الحرب غير المقدسة والنفط والإسلام وهرمجيدون.

Mauris Baar, The Unholy War, Oil, Islam and Armageddon.

* إسرائيل، مفتاح خلاص أميركا.

Mike Evans, Israel, America's Key to Survival.

هرمجيدون والنفط وأزمة الشرق الأوسط.

John F. Walvoord, Armageddon, Oil, and the Millde East Crisis.

* المأساة الأخيرة. Walvoord, The Final Drama.

* فيما يتعدى حرب الخليج، بداية هرمجيدون.

Noishe Rosen, Beyond the Gulf War, Overture to Armageddon.

* السلام والازدهار والمحرقة القادمة.

Dave Hunt, Peace, Prosperity and The Coming Holocaust.

أما عدد المنضوين تحت لواء هذه الحركة فإنه يختلف باختلاف المصادر. قادة الحركة أمثال فولويل وروبرتسون يدَّعون أن عدد أتباعهم في الولايات المتحدة يبلغ مائة مليون، ولكن منتقديهم من الكنائس الإنجيلية الأميركية يخفِّضون العدد إلى ما بين ٢٥ و ٣٠ مليوناً، إلا أن هؤلاء المنتقدين يعترفون في الوقت نفسه بأن الحركة في توسُّع، وأنها سريعة الانتشار. وبالفعل فقد أُنشئت جمعيات ومنظمات محلية يزيد عددها على المائتين، من أبرزها:

* الإئتلاف الوطني الموحد من أجل إسرائيل The National Unity Coalition for Israel.

* السفارة الدولية المسيحية International Christian Embassy.

* أصدقاء إسرائيل المسيحيون Christian Friends for Israel.

* جسور السلام Bridges for Peace.

وتدَّعي هذه المنظمات وحدها أن عدد المنتمين إليها يبلغ ٤٠ مليون شخص.

الترجمة السياسية لنظرية الألفية

تأثرت الصهيونية المسيحية بحركات ثلاث تنطلق جميعها من تفسيرات للنبوءات الدينية الواردة في التوراة. تهتم الحركة الأولى بقضية مؤشرات نهاية الزمن، وتهتم الحركة الثانية بقضية التقرُّب من اليهود من أجل المسيح، أما الحركة الثالثة فإن اهتمامها يتركز على الدفاع عن إسرائيل وعلى مباركتها. ورغم تباين هذه الاهتمامات، بل وحتى تناقضها أحياناً فإنها تلتقي أولاً حول التأويل الحرفي للتوراة، وتلتقي ثانياً حول الإيمان بأن المستقبل الكارثي للإنسانية أمر مُبَرْمج ومقرَّر إلهياً، وتلتقي ثالثاً حول وجوب مساعدة اليهود على التجمُّع في فلسطين. وفي ضوء هذا الالتقاء، حول هذه القضايا الثلاث، تبرز خلفية ومعالم الارتباط بين الديني والسياسي في أدبيات هذه الحركات.

غير أن التباين الأهم هو حول مفهوم الألفية، وهو تباين يترك بصمات واضحة حول تحديد المراحل التنفيذية للسيناريو السياسي ـ العسكري المبرمج لاهوتياً. لقد برزت في اللاهوت المسيحي ثلاثة اتجاهات لتحديد هذا المفهوم الوارد في الإصحاح ٢٠: ١ـ ١٠.

يقول **المفهوم الأول** بأن فترة الألف سنة التي تنتصر فيها الكنيسة على الشرِّ، تبدأ قبل العودة الثانية للمسيح Postmillennialism، ويقول **المفهوم الثاني** بل إن المسيح سيعود ثانية لإنقاذ الكنيسة من الشرِّ، ومن ثم لحكم العالم مدة ألف عام Premillennialism، أما **المفهوم الثالث**

فيقول إن الألفية قضية رمزية أو أنها تحققت فعلاً Amillennialism. ويعتبر أصحاب هذا المفهوم الجنة على أنها المكان الذي تتحلق فيه الأرواح حول المسيح الحاكم.

قام **المفهوم الأول** على أساس أن تحوُّل اليهود إلى المسيحية سيؤدي إلى حلول البركة على العالم قاطبة، كذلك اهتم أصحاب هذا المفهوم للألفية باليهود اهتماماً شديداً، ومن أبرزهم توماس برايتمان (١٥٦٢ـ ١٦٠٧م) في كتابه الشهير «أبوكاليبسيس أبوكاليبسوس Apocalypsis Apocalypsos» والذي يُعتبر الأب المؤسس لهذا المفهوم. فقد وضع تفسيراً تأويلياً لما يُعرف بـ «القوارير السبع» بأنها بدأت باعتلاء الملكة أليزابيت الأولى العرش في عام ١٥٥٨م، وأن عملية النفخ في الصور، المذكورة في الرؤيا العاشرة، قد تحققت في عام ١٥٨٨م بتدمير الأسطول البحري الإسباني (الأرمادا)، وأن الأمبراطورية العثمانية (التي أُطلق عليها صفة النبي الكذاب) والتي أقامت حلفاً غير مقدس مع الكنيسة الرومانية ـ الكاثوليكية (والتي أُطلق عليها صفة المسيح الدجّال) سوف تدمر، وأنه بعد ذلك سوف يُدعى اليهود لأن يصبحوا أمة مسيحية[١].

وكان برايتمان يعتقد أيضاً أن ولادة أمة مسيحية ـ إسرائيلية سيجعل من هذه الأمة مركز العالم المسيحي كله.

كان رواد هذا المفهوم للألفية، أمثال ريتشارد سيبس Richard Sibbs وصموئيل روثرفورد Samuel Rutherford وجون أوين john Owen وغيرهم، على ثقة بأن اليهود سوف يعتنقون يوماً ما عقيدة السيد المسيح، وسوف يصبحون جزءاً من الكنيسة.

---

(١) Edward E. Hindson, Medieval and Reformation Backgrounds of «Dispensationalism» The Conservative Theological Society (2001).

والتأويلات التي وضعها جوناثان إدوارد Jonathan Edwards (١٧٠٣- ١٧٥٨م) لسفر الرؤيا ١: ١٦ تقول: إن الله صبَّ جام غضبه أثناء فترة الإصلاح الديني، وأن البابوية سوف تنتهي في عام ١٨٦٦م، وأن الإسلام سوف يُدمَّر، وأن اليهود سوف يتحولون إلى المسيحية، وأن الوثنيين في أميركا وإفريقيا والهند سوف يُحملون بسرعة بعد ذلك على اعتناق عقيدة المسيح[1]. وفي غمرة هذه الحمى من التنبؤات حول «تمسيح» العالم احتلَّت فلسطين اهتماماً استثنائياً لتكون وطناً لليهود، وذلك على أساس أن تحوُّل اليهود إلى المسيحية سيمكِّنهم من العودة إلى فلسطين كأمة تعيش، جنباً إلى جنب، مع غيرها من الأمم المسيحية قبيل المجيء الثاني.

أما **المفهوم الثاني** للألفية فقد برز في أواخر القرن الثامن عشر ومطالع القرن التاسع عشر، في أعقاب الاضطرابات الشديدة التي وقعت على جانبي الأطلسي. فمن جهة أولى، قامت الحرب الأهلية الأميركية وحرب الاستقلال عن بريطانيا (١٧٧٥- ١٧٨٤م) ثم نشبت سلسلة الحروب النابليونية (١٨٠٩- ١٨١٥م)، وقد تزامنت الاضطرابات داخل بريطانيا في ذلك الوقت مع سقوط عدد من الممالك الأوروبية بين عامي ١٨٠٤ و ١٨٣٠م، فوجد منظِّرو نهاية الزمن في تصرفات، وفي أقوال نابليون مؤشراً على صحة اعتقادهم، لا سيما في قوله الشهير: «إنني أؤمن دائماً بالحظ وبإله الحرب».

في عام ١٨٠٤م توَّج نابليون نفسه أمبراطوراً بحضور مزرٍ للبابا، وفي عام ١٨٠٧م تفاهم مع قيصر روسيا على تقاسم أوروبا وفرض حصاراً على البضائع البريطانية في أوروبا. وفي عام ١٨٠٩م اعتقل البابا وضمَّ المقاطعات البابوية إلى أمبراطوريته، وما إن حلَّ عام

---

(١) Robert G. Clouse, Robert N Hosack and Richard V. Pierard, The New Millennium Manual (Grand Rapids, Michigan, Baker, 1999) P.P 90 - 91.

١٨١٥م حتى كانت الجيوش النابليونية قد اجتاحت وأخضعت معظم أوروبا والشرق الأوسط، بما في ذلك إيطاليا والنمسا وألمانيا وبولندا وروسيا، إضافة إلى مصر وفلسطين، ونصَّب إخوته ملوكاً على هولندا ونابولي وإسبانيا ووستفاليا، وسمَّى ابنه ملكاً على روما بحيث يكون هو «ملك الملوك» ورأس الأمبراطورية الرومانية[١].

من أجل ذلك أطلق فلاسفة هذا المفهوم للألفية، أمثال جورج فيبر George Faber، وروبرت جيمسون Robert Jamieson، على نابليون لقب «المسيح الدجَّال» Antichrist.

ولقد رأى هؤلاء الفلاسفة اللاهوتيون في الإجراءات التي اتخذها نابليون من الكنيسة ومن رموزها ما يعزز المنحى الذي ذهبوا إليه، ذلك أن نابليون عمد إلى ضرب الكنيسة الكاثوليكية وإلى مصادرة ممتلكاتها الواسعة، كما عمد إلى إعدام عدد من رجالات الكنيسة وأحبارها، ونفى البابا نفسه من روما.

أدَّت هذه التوترات إلى قيام ما يُعرف بـ «الصحوة الكبيرة الثانية» التي أنعشت لاهوت الألفية على يد قساوسة لعل من أبرزهم تشارلز فيني Charles Finney، وكان من مظاهرها المستمرة حتى الآن قيام حركة شهود يهوه على يد تشارلز تاز راسل Charles Taze Russel.

لقد تنبَّأ فيني بقرب نهاية العالم، كان ذلك في عام ١٨٣٥م، وقال في نبوءته: «إذا قامت الكنيسة بكامل واجباتها، فإن هذه البلاد (الولايات المتحدة الأميركية) سوف تشهد وقوع الألفية خلال ثلاث سنوات»[٢].

---

(١) G.H. Pember, The Great Prophecies of the Centuries Concerning Israel and The Gentiles. (London, Hodder, 1902) P.P 236 - 241.

(٢) Charles Finney, Lectures on Rivival (Cambrige, Harvard University Press, 1960) P. 306.

بل إن قسيساً آخر من هذه المدرسة، هو جوزف ميلر Joseph Miller، ذهب إلى أبعد من ذلك، فحدَّد اليوم والشهر والسنة لبداية العد العكسي للعودة الثانية للمسيح من أجل إقامة مملكته الروحية، وهو الواحد والعشرين من آذار ـ مارس ١٨٤٣م.

أدى ذلك إلى تزايد الاهتمام في أوروبا وأميركا بالشرق وباليهود، فكان من نتيجة ذلك توجيه الصحوة الثانية نحو ما يعرف بـ «التراث العبري».

فبين عامي ١٨٠٠ و ١٨٧٥م كتب حوالي ألفين من الكتَّاب الإنكليز والأميركيين كتباً دارت مواضيعها حول الأرض المقدسة (فلسطين)، وشاعت ظاهرة زيارات الحج إلى هذه الأراضي مما شجع عدداً من رجال الدين والأكاديميين الإنكليز على إنشاء مؤسسة «صندوق اكتشاف فلسطين» The Palestine Exploration Fund في عام ١٨٦٥م، وكان من أبرز هؤلاء قنصل بريطانيا في القدس جيمس فين James Finn، وكانت مهمة هذه المؤسسة إيجاد آلية لتحقيق عودة اليهود إلى فلسطين، وقد تعاونت من أجل ذلك مع عدد من المستشرقين من أبرزهم:

* ت. لورنس T.E. Lawrence.
* هوراثيو كتشنر Horatio Kitchner.
* كلود كوندور Claude Condor.
* الجنرال تشارلز ولسون Sir Charles Wilson.
* الجنرال تشارلز وارن General Charles Warren.

وبالفعل، فإن الدراسة الميدانية التي أعدَّها كتشنر وكوندور عن الأرض المقدسة بين عامي ١٨٧١ و ١٨٧٨م كانت أول دراسة طوبوغرافية شاملة قدمت للحركة الصهيونية معلومات قيِّمة عن الثروات الطبيعية في فلسطين لإقامة المستوطنات اليهودية الأولى.

ومع افتتاح قناة السويس، عام ١٨٦٩م، قام الرحالة البريطاني توماس كوك بتنظيم أول رحلة حج سياحي من لندن إلى القدس، وكانت تلك الرحلة تتألف من ٤٩ شخصاً. ولكن ما إن انتهى القرن التاسع عشر (أي بعد ثلاثة عقود فقط) حتى بلغ عدد الحجاج، الذين زاروا الأراضي المقدسة للحج، ١٢ ألفاً، ولذلك يُعتقد أن كوك سهَّل وعزَّز الاتصال بين الحركات الإنجيلية والأراضي المقدسة أكثر من أي شخص آخر. فقد استغِلَّت زيارات المواقع التاريخية المرتبطة بأحداث توراتية قديمة لإثارة المشاعر الدينية، ومن ثم لتوظيف هذه المشاعر في تعزيز فكرة الترويج للصهيونية المسيحية، ولقد اعترف كوك نفسه بهذا الأمر عندما تحدَّث عن ربط الصلة بين الأرض وهذه المعتقدات(١).

وقد نظَّم كوك رحلة الأمير إدوارد (الملك إدوارد السابع فيما بعد) وابنه الأمير جورج (الملك جورج الخامس فيما بعد) إلى الأراضي المقدسة أيضاً. وساعدت رحلات الحج تلك على إقامة جسور بين الإيمان عن بعد والمواقع المقدسة، الأمر الذي عزَّز من اهتمام المسيحيين الإنجيليين بوضع تفسيرات للمستقبل، من خلال النبوءات الواردة في العهد القديم، كما عزَّز من التوجهات لإعادة اكتشاف فلسطين، وبالتالي من قضية «تنصير الشعب اليهودي والمحافظة عليه»(٢).

أما **المفهوم الثالث**: للألفية، بمعنى أنها قضية رمزية وأنها تحققت فعلاً، فإنه المفهوم الذي تأخذ به أساساً الكنائس الأصلية، وخاصة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

---

(١) J.G. Davies, Pilgrimage Yesterday and Today, (London, SCM, 1988) P. 148.

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٤٨.

من الأمة المنتهية..
إلى شعب الله المختار

في العقيدة المسيحية، إن الأمة اليهودية انتهت بمجيء المسيح، وإن خروج اليهود من فلسطين كان عقاباً لهم على صلب المسيح، وإن الحديث عن عودة اليهود من المنفى يشير إلى العودة من بابل على يد الأمبراطور الفارسي قورش.

ولقد اعتبر القديس أوغسطين أن القدس هي مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

غير أن حركة الإصلاح الديني، التي قامت في أوروبا في عام ١٥٢٣م، تبنَّت أُسساً جديدة تقول بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضَّلة على كل الأمم، وأن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بفلسطين (الأرض المقدسة)، وأنه ميثاق سرمدي أبدي بين الله والشعب اليهودي، كما تقول بربط الإيمان المسيحي بالعودة الثانية للمسيح بشرط قيام صهيون إسرائيلية في فلسطين.

في القرن التاسع عشر، حدث ما يمكن اعتباره الانشقاق الكبير بين منظِّري الألفية. أخذ البريطانيون من لاهوتيي هذه الحركة بالرأي الذي يقول إن اليهود سوف يتحوَّلون إلى المسيحية، وأنهم سوف يندمجون في الكنيسة **قبل عودتهم إلى فلسطين**، وإن هذه العودة سوف تتم كمسيحيين، وليس كيهود. أما الأميركيون منهم فأخذوا بالرأي الذي

يقول إن اليهود سيعودون إلى فلسطين كيهود **وقبل تحوُّلهم إلى المسيحية**، وأنهم سيبقون حتى بعد التحول إلى المسيحية، وبعد العودة إلى فلسطين، منفصلين عن الكنيسة.

من أبرز لاهوتيي الفريق البريطاني القس لويس واي Lewis Way، أحد مؤسسي «صندوق اكتشاف فلسطين»، وكان من الرواد الداعين إلى تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين حتى إنه تمكّن من إلقاء خطاب بهذا المعنى أمام المؤتمر الدولي، الذي عُقد في إيكس لاشابيل Aix la Chapelle في أكتوبر ـ تشرين أول من عام ١٨١٨م، الذي حضره قادة دول روسيا وبريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا (ألمانيا).

ومنهم أيضاً القس تشارلز سايمون Charles Siemon، الذي كان يعتبر تنصير اليهودي المدخل إلى تنصير «الجنتيل»، أي بقية شعوب العالم غير اليهودي، وكان يعتبر أيضاً أن «صهيون» تحقّقت في الكنيسة.. وأن المسيحيين هم «إسرائيل الله»، وأن انتسابهم للمسيح يعني أنهم بذور إبراهيم، وبالتالي فإنهم ورثة الوعد الإلهي الذي أُعطي له.

ومنهم أيضاً القس جوزف وولف Joseph Woolf، وكان يهودياً تحوَّل إلى الكاثوليكية ثم إلى الأنكليكانية، إلا أن همَّه الأولَ كان البحث عن قبائل إسرائيل الضائعة، والتي زعم أنه وجدها في منطقة تقع بين كشمير، من سفوح الهمالايا شمالي الهند وبخارى في آسيا الوسطى.

أما لاهوتيو الفريق الأميركي فإن أهمَّهم وأكثرَهم تأثيراً كان جون نلسون داربي John Nelson Darby، و«الذي يعتبر الأب الشرعي للحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة»[١].

---

(١) Donald E. Wagner, Anxious for Armageddon, (Waterlow, Ontario, Herald Press, 1995) P.P 81 - 88.

انشق داربي عن كنيسة إيرلندا، ثم عن الكنيسة الأنكليكانية. كان يعتبر الكنيسة في حالة انهيار، وكان يقول «إن مجد المسيح في وحدة الكنيسة لم يعد قائماً»[1].

أسس داربي ما يعرف باسم «الأخوية الكنسية» Brothern Churches، وكان لها فروع في ألمانيا وسويسرا وفرنسا والولايات المتحدة، وأوفدت هذه الأخوية بعثات إلى أستراليا وإفريقيا وحتى إلى الشرق الأوسط وفلسطين تحديداً. وقبل وفاته، في عام ١٨٨٥م، كان قد تم إنشاء ١٥٠٠ فرع في مختلف أنحاء العالم.

استطاع معارضو نظريته من اللاهوتيين الإنكليز إجهاض حركته في بريطانيا، فركَّز اهتمامه على الولايات المتحدة التي قضى فيها ٤٠ بالمائة من سنوات عمره.

استطاع داربي أن يستقطب ولاء قساوسة من قادة الكنائس الإنجيلية الأميركية، ومن خلالهم تبنَّت المدارس الإنجيلية نظريته، ونظَّمت مؤتمرات واسعة حول النبوءات الدينية التوراتية التي أصبحت تشكِّل العمود الفقري للأصولية الإنجيلية في الولايات المتحدة بين عامي ١٨٧٥ و١٩٢٠[2].

قبل نلسون داربي كان مفهوم الألفية متأثراً إلى حد بعيد بالمدرسة اللاهوتية البريطانية، حتى أن مؤسس كنيسة المورمون Mormons جوزف سميث Joseph Smith كان يقول دائماً: «إننا نؤمن بالقيام

---

(١) J.N. Darby, Reflections on the Ruined Condition of the Church, The Collected Writings of J.N. Darby, edited by William Kelly (Kingston on Thames 1962) P. 201.

(٢) Clarence Bass, Backgrounds to Dispensationalism (Grand Rapids, Eerdmans, 1986) P. 176.

الحرفي لإسرائيل وبإعادة تجميع القبائل العشرة (قبائل بني إسرائيل الضائعة). إن صهيون سوف تقوم في هذه القارة، أي في أميركا»[1]، ولكن داربي تمكّن، في أجواء الحرب الأهلية الأميركية، من أن يفرض مدرسته اللاهوتية مما أدى ليس فقط إلى ولادة الحركة التدبيرية Dispensationalism (بمعنى أن كل شيء مدبَّر ومبرمَج، وأن على الإنسان العمل على تحقيق البرنامج الإلهي وفق التفسير الحرفي للنبوءات التوراتية)، إنما أدى كذلك إلى إرساء قواعد الأصولية الدينية الإنجيلية[2].

وبغياب صهيونية يهودية في ذلك الوقت، انتشرت الصهيونية المسيحية التي دعا إليها داربي، وحمل لواء دعوته تلك مجموعة من القساوسة، منهم:

* جيمس بروكس James Brooks.
* أرنو غيبالين Arno Gaebelein.
* دوايت مودي Dwight Moody.
* وليم بلاكستون William Blackstone.
* سايروس سكوفيلد Cyrus l. Scofield.

روَّج دوايت مودي لنظرية «اليهود شعب الله المختار»، وأنهم سوف يتحوَّلون إلى المسيحية لدى عودة المسيح، وأن ذلك سوف يتم بمعزل عن الكنيسة. لم يكن مودي يؤمن بعلامات نهاية الزمن، أو حتى بوجوب عودة اليهود إلى فلسطين، وكان يقول: «إذا أحببنا ذرية إبراهيم -

(١) J.F.C. Harrison, The Second Coming: Popular Millenarianism, 1780 - 1850, (New Brunswick, Rutgers University Press, 1979) P. 180.

(٢) Ernest R. Sandeen, The Roots of Fundamentalism: British and American Millenarianism 1800 - 1930, (Chicago, University of Chicago Press 1970).

اليهود ـ فإننا سوف نسعد بأمل عودة المسيح». كان يؤمن بالعودة وبحتميتها.

أما وليم بلاكستون فقد وضع في عام ١٨٨٧م كتاباً بعنوان «المسيح آتٍ»، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى ٣٦ لغة، وفيه أكَّد على نظرية حق اليهود التوراتي في فلسطين وبأنهم سوف يزدهرون هناك، وكان الصهيوني المسيحي الأول الذي عمل من أجل القضية الصهيونية اليهودية، وذلك من خلال إيمانه بأن الحركة الصهيونية هي إشارة العودة الحتمية للمسيح.

بدايات الصهيونية المسيحية الأميركية

يمكن اعتبار بلاكستون كذلك اللاهوتي الأول في الولايات المتحدة الذي عمل على تفسير الأحداث السياسية الراهنة - في زمانه - في ضوء التأويلات التوراتية، وقد تأثر بهذه المدرسة اللاهوتية بعد قرن من الزمن أحد قساوسة هذه الحركة الإنجيلية الأصولية هول ليندسي Hall Lindsay، خاصة في كتابه الواسع الانتشار «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» The Last Great Planet Earth[1].

وعلى الرغم من أن يهود الولايات المتحدة لم يتحمَّسوا إلى دعوته بالتجمع في فلسطين وإقامة صهيون، وعلى الرغم من أن كبير حاخاماتهم في شيكاغو، إميل هيرش Emil Hisrh، أعلن في عام ١٨٩٠م «إن الولايات المتحدة هي فلسطين بالنسبة لليهود وهي صهيون»[2]، فقد تمكَّن بلاكستون من جمع تواقيع ٤١٣ شخصية مسيحية ويهودية أميركية - كان من بينها جون ووليم روكفلر John and William Rockefeller - على مذكَّرة رُفعت إلى الرئيس الأميركي ذلك الوقت بنجامين هاريسون Benjamin Harrison، تطالب بعقد مؤتمر دولي من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين.

---

(١) راجع محمد السمّاك، الصهيونية المسيحية - دار النفائس - بيروت، ص ٨٢.

(٢) Beth M. Lindberg, A God Filled Life: The Story of William E.Blackstone, (American Messianic Fellowship International, 1987).

وجاء في المذكرة: «لماذا لا تُعاد فلسطين إليهم (اليهود) ثانية؟ فعلى أساس توزيع الله للأمم فإن فلسطين هي وطنهم، إنها ملك لهم طُردوا منه بالقوة. وخلال وجودهم فيه كان وطناً غزير الثمار، وكان يؤوي الملايين من الإسرائيليين الذين أقاموا فوق تلاله ووديانه المصانع والمزارع. كانوا شعباً صناعياً وزراعياً، كما كانوا تجاراً على درجة كبيرة من الأهمية. كانوا مرتكزاً للدين وللحضارة، فلماذا لا تُبادر القوى الدولية، بموجب معاهدة برلين ١٨٧٨م، التي أعطت بلغاريا للبلغار، وصربيا للصرب أن تعيد فلسطين إلى اليهود»[١].

غير أن القس سايروس سكوفيلد (١٨٤٣ـ ١٩٢١م) هو أشد قساوسة هذه الحركة تطرفاً وأكثرهم تأثيراً بلا منازع، فقد وضع ما يُعرف باسم «إنجيل سكوفيلد المرجعي» Scofield Reference Bible في عام ١٩١٧م.

كان سكوفيلد مسيحياً أمياً، إلا أنه تتلمذ على يد جيمس بروكس، وعمل مساعداً له، وهو الذي قدمه إلى نلسون داربي، ومن خلال ذلك جمع نظريات وآراء وأفكار داربي وصاغ منها «إنجيله»، حتى إن مؤرخ تلك الحقبة من الحركة الأصولية الإنجيلية كلارنس باس يقول: «إن المقارنة بين ملاحظات سكوفيلد وأعمال داربي تظهر بوضوح تام أن سكوفيلد لم يكن مجرد تلميذ لأعمال داربي، ولكنه كان يقلِّد ويستعير أفكاره وكلماته وعباراته»[٢].

مع ذلك نشر سكوفيلد في عام ١٨٨٨م أول مؤلف له، وكان عنوانه «واجب تجزئة كلمة الحق» «Rightly Dividing the Word of Truth».

---

(١) Reublen Fink, America and Palestine, (New-York, American Zionist Emergency Council, 1945) P.P 20 - 21.

(٢) C. Bass, Backgrounds to Dispensationalism. P. 18.

وفي هذا المؤلَّف طرح سكوفيلد المبادىء اللاهوتية للأصولية الإنجيلية التدبيرية، وقد اعتمد على هذا المؤلَّف في كتابة «إنجيله» الذي أصبح، فيما بعد، المعتمد الرسمي والأساس ومصدر إلهام من جاء بعده من القساوسة الأصوليين في الولايات المتحدة وحتى اليوم.

ونظراً لرواج ولانتشار إنجيل سكوفيلد، الذي طُبع، لأول مرة، في عام ١٩٠٩م، فقد التبس على الكثيرين التمييز بين نص الإنجيل المقدس وتفسيرات سكوفيلد الواردة في «إنجيله».

لقد أُعيد طبع إنجيل سكوفيلد المرجعي عدة مرات بدءاً من عام ١٩١٧م، وهو بمضمونه وسِعة انتشاره أصبح العمود الفقري للفكر الأصولي للإنجيلية الصهيونية، ومنه يستمد قساوسة هذه الحركة المعاصرون أمثال بيل غراهام، وابنه فرانكلين، وجيري فولويل وبات روبرتسون وسواهم، أفكارهم التي يبنون عليها التزامهم الديني بإسرائيل، وبما يعتقدون أنه حقُّها التوراتي، من النيل إلى الفرات!!.

إلى جانب تأثُّر سكوفيلد بأستاذه داربي، فقد تأثَّر بمنهج وبمضمون «النبوءات الدينية» التي كان يقول بها القس أرنو غيبيلين Arno Gaebelein، ومن هذه النبوءات مثلاً، قوله إن حلف شمال الأطلسي (الناتو) سيصبح الملوك العشرة للأمبراطورية الرومانية المنبعثة[1]، وقد تفوق سكوفيلد فيما بعد على غيبيلين حتى إنه وضع مقدمة لكتابه «انسجام كلمة النبوءة» Harmony of The Prophetic Word.

والملفت في الأمر أن القس غيبيلين أكَّد على صحة ما ورد في بروتوكولات حكماء صهيون، واهتم بما وصفه «القيادة اليهودية للثورة البلشفية»، التي قامت في روسيا في عام ١٩١٧م، وذلك في ضوء ما

(١) Our Hope, 55 (1948 - 49) P. 73.

ذكره هو نفسه من أن ٤٤ من أصل ٥٠ من قادة الثورة الشيوعية هم يهود أو من أصل يهودي. وقد وصف اليهود بأنهم «لا يخافون الله ولا يلتزمون بالقوانين ولا يحبون السلام، رذلوا دين آبائهم ووقفوا دائماً ضد القانون»[١].

لقد أرسى قواعد النظرية التي تقول إن التعاطف مع اليهود شيء والإيمان بحتمية تدميرهم في معركة هرمجيدون شيء آخر.

كان ـ مثل سكوفيلد ـ يؤمن بأن تعميم الإنجيلية سوف يؤدي نظرياً إلى زوال اليهود كجنس مستقل، من دون أن يعني ذلك بالضرورة عدم دعم الوطنية اليهودية، وكان يعتبر اليهودي الكافر ـ غير المسيحي ـ حليفاً للشيطان، ولكن من دون أن يعني ذلك، بالضرورة، ممارسة أو تأييد اللاسامية، وبالتالي فإن دعم اليهود وتأييدهم ومساعدتهم لا يتم من أجل اليهود كيهود، إنما من أجل توفير الشروط اللازمة للعودة الثانية للمسيح[٢].

(١) David Ranch, Fundamentalism And The Jew: An Interpretive Essay, Journal of the Evangelical Theological Society, June 1989. P.P 107 - 112.

(٢) مرجع سابق ـ Rauch, P.P 213 - 216.

الثابت والمتغيِّر في النبوءات الدينية

كانت الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة ترى في صعود الشيوعية في القرن العشرين، وفي وعد بلفور ١٩١٧م (بإقامة وطن يهودي في فلسطين)، وفي اللاسامية (التي مارستها النازية الألمانية) مؤشرات على هذه العودة المنتظرة، إلا أن هذه الحركة شهدت انحساراً واضحاً في الفترة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٤٨م، وذلك عندما أعطت الولايات المتحدة الأولوية في سياستها الخارجية لمصالحها النفطية ولحاجتها الاستراتيجية لاحتواء النفوذ السوفياتي في العالم العربي. في هذه الفترة تحركت الصهيونية اليهودية وتعاونت مع الحركات الكنسية الأميركية الليبرالية للضغط على الرئاسة الأميركية، على قاعدة احترام حقوق اليهود وليس على قاعدة النبوءات الدينية.

أما الحركة الأصولية الإنجيلية فقد أولت اهتماماتها، في هذه الحقبة، للانعكاسات السلبية للحرب العالمية الأولى، وللانهيار الاقتصادي الذي تعرَّض له الاقتصاد الأميركي، ولنظرية داروين حول النشوء والتطور (وليس الخلق). كان التحدي المحلي داخل المجتمع الأميركي الذي واجهته، هو كيفية مقاومة الانحدار الخلقي، فغابت إسرائيل عن الاهتمام المركزي الذي كان قد ساد في القرن السابق، حتى أن بايارد دودج Bayard Dodge ـ مؤسس الجامعة الأميركية في بيروت ـ نشر في

عام ١٩٤٨م (عام إعلان قيام إسرائيل) مقالة في مجلة ريدرز دايجست Ridders Digest تحت عنوان: «هل إن الحرب ضرورية في الشرق الأوسط؟»، قال فيها: «ليس كل يهودي صهيونياً، وليس كل الصهاينة متطرفين. إن الصهيونية مأساة لا يمكن أن يصدر عنها أي خير».

ويذكر روبرت كابلان Robert Caplan أن منطق دودج ضد الصهيونية لا يقوم على سياسة الحركة، ولكنه يقوم على مراعاة المعارضة العربية لها، الأمر الذي جعل البرنامج الصهيوني غير واقعي، وبالتالي برنامجاً خطراً. كان دودج يدرك أن سنوات بل عقوداً من الصراع سوف تترتب على ولادة الدولة اليهودية.

لقد كتب دودج في مقالته: «إن كل الأعمال التي قامت بها المؤسسات الخيرية الأميركية في العالم العربي، إن كل بعثاتنا التبشيرية، جمعية الشبان المسيحية، جمعية الشابات المسيحيات، كلية بوسطن في بغداد، كلِّيَّاتنا في القاهرة وبيروت ودمشق، إن ذلك كله سوف يتعرض للإحباط وللانهيار الكامل، وكذلك استثماراتنا النفطية». مما لا شك فيه أنه لو تحققت مخاوف دودج في ذلك الوقت، أي لو أن ردَّ الفعل العربي على قيام إسرائيل تحرَّك في اتجاه المخاوف التي أشار إليها وحذَّر منها، لما تمادت الولايات المتحدة في الاستخفاف بالعالم العربي، ولما دعمت حروب التوسع التي شنَّتها إسرائيل فيما بعد (١٩٦٧ و ١٩٧٣ و ١٩٨٢م)، ولما غطَّت الجرائم التي ارتكبتها في فلسطين ولبنان ومصر.. ولما شنَّت الحرب غير المبررة على العراق، واحتلَّته في آذار ـ نيسان / مارس ـ أبريل ٢٠٠٣م، ولكن الحق السائب يعلِّم الدول الحرام!!.

لم تخرج الحركة الصهيونية ـ المسيحية الأميركية من واقعها الانكماشي الانحساري إلا في عام ١٩٦٧م. فقد أدى احتلال إسرائيل

لسيناء والضفة الغربية، والقدس تحديداً إلى نفض الغبار عن ادعاءاتها التي تربط بين إسرائيل والصهيونية من جهة، والنبوءات التوراتية وتفسيراتها المعتمدة.

لقد أقصت الكنائس الإنجيلية الأميركية الليبرالية نفسها عن الحركة الصهيونية، واتخذ مجلس الكنائس العالمي (مقرُّه في جنيف) المواقف المبدئية التي تكرس هذا الإقصاء الذاتي. أما الأصولية الإنجيلية الأميركية فقد غرقت، حتى أذنيها، في المشروع الصهيوني «باعتباره تجسيداً للإرادة الإلهية»، وكان من رواد هذا التحرك القساوسة:

* هاري أيرونسايد Harry Ironside.

* م. ديهان M. Dehaan مؤلف كتاب «اليهودي وفلسطين في النبوءة» The Jew and Palestine in Prophecy.

* روبن توراي Rewben Torrey مؤلف كتاب «عودة المسيح الإله» The Return of the Lord Jesus.

* أ .ب. سيمسون A.B. Simpson مؤسس منظمة «التحالف التبشيري المسيحي».

قام المنطق اللاهوتي ـ السياسي لهؤلاء القساوسة على مبدأ أساسي حدده ديهان نفسه وهو: «إن أرض فلسطين هي الأرض المقدسة، لأن الله، في أهدافه وفي برنامجه الأبدي، جعل هذه الأرض ملكاً لشعب مميَّز من ذرية داود؛ ولأن هذه الأرض هي أرض الله المقدسة، فإن كل من يحاول فصل شعبها عنها يتعرَّض لعقاب إلهي.. إذا استطاعت الأمم أن تسلك النهج السليم بوضوح، وذلك باحترام وعدها (وعد بلفور) بتخصيص الأرض المقدسة لتكون ملاذاً وطنياً لليهود، وأن تعيدها ثانية إلى أصحابها الشرعيين الذين وعدهم الله بها، فإن الله قد يزيد ويضاعف

ذرية داود من أمثال الدكتور وايزمن، وذلك من أجل أن تعمَّ بركته وخيره على أمم العالم قاطبة»[1].

أما وايزمن، الذي اعتبره القس ديهان علامة من علامات خير الله وبركته، فهو العالِم الفيزيائي الذي اكتشف استخدام حامض الأسيتون في المتفجرات!!.

وجد قساوسة هذه الحركة في احتلال إسرائيل للقدس علامة بارزة من العلامات الممهدة للعودة الثانية للمسيح، أمثال القس بيلي غراهام Billy Graham ووالد زوجته القس نلسون بال Nelson Bell، الذي قال «إن سيطرة اليهود على القدس، لأول مرة منذ ألفي عام، يثير في دارس الإنجيل قشعريرة روحانية ويجدد إيمانه بصحة وبصدقية كل ما ورد فيه»[2]

(١) M.R. Dehaan, Daniel the Prophet, 35 simple studies in the Book of Daniel, (Grand Rapids, Michigan Zondervan, 1947) P.P 169 - 172.

(٢) Donald Wagner, Evangelicals and Israel, Theological Roots of a Political Alliance, the Christian Century, (1998), P.P 1020 - 1026.

القرار السياسي الأميركي
والنبوءات التوراتية

لم تقتصر هذه المشاعر على القساوسة فقط، ولكنها غمرت سياسيين أيضاً بمن فيهم بعض رؤساء الولايات المتحدة.

الرئيس ليندون جونسون Lyndon B. Johnson قال في عام ١٩٦٨م، في خطاب ألقاه في العاشر من أيلول ـ سبتمبر، أمام منظمة يهودية أميركية:

«إن لأكثركم، إن لم يكن لجميعكم، روابطَ عميقة مع أرض ومع شعب إسرائيل، كما هو الأمر بالنسبة إليّ، ذلك لأن إيماني المسيحي انطلق من إيمانكم. إن القصص التوراتية محبوكة مع ذكريات طفولتي، كما أن الكفاح الشجاع الذي قام به اليهود المعاصرون من أجل التحرر من الإبادة منغمس في نفوسنا».

أما الرئيس جيمي كارتر Jimmy Carter، الذي يعتنق عقيدة الولادة الثانية Born Again، فقد اعترف بأن مشاعره المؤيدة للصهيونية كانت الحافز الذي صاغ سياسته في الشرق الأوسط[١].

وقد وصف دولة إسرائيل، في خطاب له ألقاه في الأول من أيار ـ مايو ١٩٧٨م، بأنها «العودة إلى أرض التوراة التي أُخرج منها اليهود منذ مئات

(١) Jimmy Carter, The Blood of Abraham, (London, Sidgwick & Jackson, 1985).

السنين، وإن إقامة الأمة الإسرائيلية في أرضها هو تحقيق لنبوءة توراتية، وهي تشكل جوهر هذه النبوءة»[١].

ولعل الرئيس رونالد ريغان Ronald Reagan كان من أكثر الرؤساء الأميركيين إيماناً والتزاماً بعقيدة الصهيونية المسيحية، فقد نشأ على هذه العقيدة على يد والدته نيل Nell، كما ذكرت الكاتبة غريس هالسل في كتابها النبوءة والسياسة[٢].

كان يؤمن بنظرية هرمجيدون، وكان يقول: «إننا قد نكون الجيل الذي سيرى هرمجيدون»، ولذلك فإن فترة رئاسته اعتبرت الفترة الذهبية للصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة. ويذكر دونالد واغنر Donald Wagner أن انتخاب رونالد ريغان (رئيساً للولايات المتحدة) لم يؤدِّ فقط إلى قيام أكثر إدارة أميركية مؤيدة لإسرائيل في التاريخ، ولكنه أعطى عدداً من الصهيونيين المسيحيين مواقع أساسية في إدارته. فإلى جانب الرئيس نفسه، كان وزير العدل إد ميس Ed Mees، ووزير الدفاع كسبار وينبرغر Caspar Weinberger، ووزير الداخلية جيمس وات James Watt من غلاة الصهيونيين المسيحيين[٣].

لم يقتصر الأمر على مشاركة صهيونيين مسيحيين كوزراء في إدارة الرئيس ريغان، بل إن الرئيس نفسه كان يدعو قساوسة هذه الحركة إلى البيت الأبيض وإلى وزارة الدفاع ـ البنتاغون، وإلى مجلس الأمن

---

(١) Speach by President Jimmy Carter, Department of State Bulletin, Vol. 78. No. 2015, (1978) P. 4.

(٢) راجع: غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السمّاك ـ دار النفائس ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة (٢٠٠٣م) ص.ص. ٧٦ ـ ٨٨.

(٣) Donald Wagner, Beyond Armageddon, The Link, New-York: Americans for Middle East Understanding (1992) P. 5.

القومي للإدلاء بآرائهم من القضايا الاستراتيجية في ضوء النبوءات التوراتية التي يؤمنون بها ويروِّجون لها.

ففي عام ١٩٨٢م، قدم القس جيري فولويل Jerry Falwell عرضاً إلى مجلس الأمن القومي الأميركي حول احتمال نشوب حرب نووية مع الاتحاد السوفياتي السابق، كما أن القس هول ليندسي Hall Lindsay تحدث في هذا الموضوع أيضاً أمام قادة البنتاغون من عسكريين ومفكرين استراتيجيين. ومن المعروف عن القس ليندسي أنه من أشد قساوسة هذه الحركة إيماناً بحتمية معركة هرمجيدون التي يقول إنه لا بدَّ من وقوعها حتى تمهِّد للعودة الثانية للمسيح، ولقد ذكر ذلك مراراً في كتابه The Last Great Planet Earth الذي سبقت الإشارة إليه.

وفي عام ١٩٨٤م، نشرت جريدة واشنطن بوست Washington Post مقابلة صحفية مع الرئيس ريغان، أجراها معه الصحفي توم داين Tom Dine، نُسب فيها إلى الرئيس الأميركي ريغان قوله: «إنني أعود إلى النبوءات القديمة المذكورة في العهد القديم، وإلى المؤشرات حول هرمجيدون، فأتساءل بيني وبين نفسي ما إذا كنا الجيل الذي سيرى تحقق ذلك. لا أعرف إذا كنتَ لاحظتَ معي أيّاً من هذه النبوءات مؤخراً، ولكن صدقني إنها ـ أي النبوءات ـ تصف بالتأكيد ما نمرُّ به الآن»[١].

بهذه الخلفية العقدية وافق ريغان في عام ١٩٨٦م على قصف ليبيا لأنه اعتبرها «عدواً لله». وعندما تمكَّن التحالف الاستراتيجي الأميركي الإسرائيلي من إخراج القوات الفلسطينية من لبنان في عام ١٩٨٢م،

---

(١) Rommie Dugger, Does Reagan Expect a Nuclear Armageddon? Washington Post, 18 April 1984.

اعتبر ريغان، في خطاب له، ذلك الإنجاز «مفخرة لأميركا» «لأننا معنيون بالبحث عن السلام في الشرق الأوسط ليس كخيار إنما كالتزام معنوي (ديني)»[1].

لعب ثلاثة قساوسة دوراً في صناعة القرار السياسي الأميركي لم يلعبه أحد من قبل، والقساوسة الثلاثة هم:

١ - جيري فولويل Jerry Falwell

يُعتبر فولويل من أهم القساوسة الذين تأثروا بالاحتلال الإسرائيلي للقدس في عام ١٩٦٧م، وبإعطاء هذا الاحتلال معنًى دينياً توراتياً. في الأساس كان فولويل يعتقد، كما قال هو نفسه في عام ١٩٦٤م، «إن المبشرين (المسيحيين) ليسوا مدعوين ليكونوا ساسة بل لكسب النفوس، إننا لسنا معنيين أبداً بإصلاح البعيدين»[2].

ولكن فولويل انقلب على هذا الموقف المبدأ رأساً على عقب في عام ١٩٦٧م، متأثراً بالبُعد الديني لاحتلال إسرائيل لسيناء وللضفة الغربية (يهودا والسامرا) والقدس، فوصف الجنرال موشي دايان بأنه «رجل المعجزات في هذا العصر»، وحثَّ البنتاغون على دعوته إلى فيتنام «ليعلم القيادة العسكرية الأميركية هناك كيف تستطيع أن تربح الحرب».

وتقديراً لخدماته لإسرائيل في الولايات المتحدة، فقد منحه رئيس حكومتها مناحيم بيغن وسام فلاديمير زائييف جابوتنسكي عام ١٩٨٠م، وكان فولويل أول غير يهودي (جنتيل) يُمنح هذا الوسام، كما منحه

---

(١) Jimmy Carter, P.P 228 - 234.

(٢) James Price and William Goodman, Jerry Falwell, An Unauthorized Profile, (West Post, Connectiant, Lawrence Hill, 1986) P.P. 72 - 73.

طائرة خاصة لتسهيل عمليات تنقُّله بين الولايات المتحدة داعياً لإسرائيل وللصهيونية المسيحية.

٢ ـ بات روبرتسون Pat Robertson

يُعتبر روبرتسون واحداً من أقوى الشخصيات الأميركية في الدوائر السياسية والدينية[1]، وهو في عهد الرئيس جورج بوش الابن أوسع نفوذاً مما كان حتى في عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان.

أنشأ محطة تلفزيون سي .بي .إن (Christian Broadcasting Network) C.B.N. في عام ١٩٦٠م، والتي تعتبر أهم محطة دينية في العالم، بموازنة سنوية تبلغ ١٩٥ مليون دولار، كما أنشأ في عام ١٩٨٩م منظمة التحالف المسيحي Christian Coalition التي تضم ١,٩ مليون عضو لمساعدة مرشحي الرئاسة الملتزمين بمبادىء وبأفكار الصهيونية المسيحية، وقد صبَّت هذه المنظمة أصوات المنتمين إليها في مصلحة المرشح جورج بوش الابن في الانتخابات الرئاسية ـ المثيرة للجدل ـ التي جرت في عام ٢٠٠٠م.

وفي عام ١٩٩٠م أنشأ محطة تلفزيون سماها المحطة العائلية Family Channel، المنبثقة عن مؤسسة International Family Entertainment، وقد بلغ عدد المشتركين فيها ٦٣ مليوناً. وفي عام ١٩٩٧م باعها إلى محطة فوكس بمبلغ ١,٩ مليار دولار!!. إن محطة C.B.N تعتبر «أكبر أبرشية» في العالم، إذ أن المشتركين فيها موزعون في ١٨٠ دولة، وهي تقدم برامجها الدينية بواحد وسبعين لغة بينها العربية، إضافة إلى الروسية والصينية، وكذلك الإسبانية والفرنسية

---

(١) Gerard Straub, Salvation for Sale, An Insider view of Pat Robertson, (Buffalo, New-York, Promethews Books) 1988.

والإنكليزية، ويقدر عدد مشاهدي البرنامج الديني الأسبوعي المعروف باسم «نادي السبعمائة»، الذي يقدمه روبرستون، بحوالي سبعة ملايين في الولايات المتحدة وحدها.

يقول روبرتسون إنه «ينتظر اللحظة التي ستتولى محطته نقل وقائع نزول المسيح فوق جبل الزيتون في القدس»، ويقول إن محطته هي المحطة الدينية التلفزيونية الأولى في التاريخ. «ففي ٢٩ نيسان ـ أبريل ١٩٧٧م نقلت المحطة، لأول مرة، صوراً بالأقمار الاصطناعية عن جبل الزيتون، يومها كانت مجموعة من السحب تتجمع فوق جبل الهيكل.. وعندما شاهدت الجبل.. شاهدت المكان الذي ستطأ فيه قدما المخلِّص عندما يعود ثانية إلى الأرض، ففكرت: إنني أنقل وقائع هذا المشهد. إن الإنجيل يقول إن كل العيون سوف تتعلق به، وها إن الحدث يقع. إننا نرى كيف سيتم تحقيق ذلك أمام عيوننا»[١].

على أن هذا المشهد المنتظر لن يتم في مفهوم الحركة الصهيونية المسيحية ما لم تتهوَّد فلسطين كاملة، ولذلك فإن القس روبرتسون وجَّه باسم منظمة التحالف المسيحي مذكرة إلى الكونغرس الأميركي، في نيسان ـ أبريل ٢٠٠٢م، دعا فيها إلى دعم إسرائيل بكل الوسائل ضد الإرهاب الفلسطيني (الانتفاضة الفلسطينية)، كما دعا إلى الضغط على الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات وحمله على القبول بالشروط الإسرائيلية.

---

(١) Skipp Porteous, Road to Armageddon.

موقع القدس وفلسطين

كان موضوع المؤتمر السنوي لعام ٢٠٠٣م الذي ينظمه في واشنطن التحالف المسيحي «إسرائيل والعرب»، وكانت القضية الأولى التي طُرحت أمام المؤتمر ـ الترانسفير ـ أي توطين الفلسطينيين خارج إسرائيل، ولذلك اتخذ المؤتمر شعاراً له ما ورد في الجزء ٣٣ من التوراة حيث ينسب إلى الله قوله لموسى إنه «أعطى بني إسرائيل حق وراثة أرض كنعان»، وحيث ينسب إليه قوله أيضاً: «عليك بطرد كل سكان هذه الأرض.. وإذا لم تخرجهم جميعاً أمامك، فإن الذين يبقون منهم سيكونون كالقش في عيونكم، وكالأشواك في خواصركم، وإنهم سوف ينغِّصون عليكم صفو حياتكم في الأرض التي تعيشون فيها».

وكما في كل عام، فإن الكلمة الرئيسية في المؤتمر كانت للقس روبرتسون نفسه، وكان محور كلمته يدور حول السيد ياسر عرفات والسلطة الفلسطينية. فقد اتهم روبرتسون الزعيم الفلسطيني بأنه ـ صدِّق أو لا تصدِّق ـ قتل وطرد نسبة عالية جداً من سكان مدينة بيت لحم المسيحيين!!. ووصف القيادة الفلسطينية بأنها مجموعة من رجالات المافيا الذين استُحضروا من تونس (؟) وأنهم احتلوا (؟) فلسطين بزعامة ياسر عرفات وأعوانه؟!. وهتف روبرتسون بعد ذلك قائلاً: «لن نسمح أبداً بأن تُقدم هذه الأمة للفلسطينيين».

وحتى لا يترك مجالاً للشك، قال روبرتسون إن الفلسطينيين هم

مجموعة من العرب وصلوا إلى فلسطين منذ عقود قليلة فقط، وأن ادِّعاءهم بالسيادة على الأرض هو ادِّعاء حديث، بينما يعود الارتباط اليهودي بهذه الأرض إلى آلاف السنين، والدليل على ذلك هو الهيكل الذي يعود إلى الإسرائيليين وليس إلى الفلسطينيين... وهكذا فإنه في منطق الصهيونية المسيحية فإن الفلسطينيين هم طارئون هاجروا إلى فلسطين حديثاً ليزاحموا الإسرائيليين في وطنهم!!. وفي الوقت الذي كان هذا المؤتمر منعقداً في الولايات المتحدة، كانت الحكومة الإسرائيلية تعلن موافقتها على برنامج لنقل ٢٠ ألفاً من فلاشا أثيوبيا إلى إسرائيل.

وكما في كل عام، تشترك شخصيات إسرائيلية في هذا المؤتمر السنوي للتحالف المسيحي الأميركي، وكان من هذا الشخصيات محافظ القدس إيهود أولمرت، ورئيس حزب مولدت، ووزير السياحة السابق بني إلون إلى جانب شخصيات أميركية رسمية عديدة كان أبرزها، هذا العام، زعيم الأكثرية في الكونغرس الأميركي ويب توم دي لاي.

وقد تمحورت الخطب التي ألقوها حول وجوب تحقيق الإرادة الإلهية بإقامة إسرائيل من النهر إلى البحر، على أن تكون دولة يهودية صافية لا يبقى فيها «قش في العيون وأشواك في الخواصر».

وبالنسبة للقدس فإن الشعار الذي رفعه إلون هو «إن الله هو الذي أعلن هذه المدينة عاصمة لإسرائيل، وإن ما يريده الله لا يغيِّره البشر».

ولذلك فإن على كل «محبِّي المسيح» أن يعملوا من أجل أن تبقى القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل. (مسكين المسيح كم من جريمة تُرتكب باسمه وهو منها براء).

كذلك فإن زعيم الأكثرية في الكونغرس «دي لاي»، هتف أمام جموع المؤتمرين داعياً إلى «دعم مؤيدي إسرائيل الذين يقفون بشجاعة إلى جانب السيد المسيح».

إن خطورة هذه الحركة الدينية الأميركية تكمن في أنها تجعل من السياسة الخارجية القائمة على أساس دعم إسرائيل ومحاربة أعدائها، الوجه الآخر للسياسة الداخلية، كما تكمن في الإيحاء بأن مساعدة إسرائيل هو واجب ديني على كل أميركي.. وأن هذا الواجب يحتِّم القضاء على أعدائها على النحو الذي ردَّدته رئيسة التحالف روبرتا كومبس في الكلمة الافتتاحية للمؤتمر.

ولكن وعلى الرغم من أن الأكثرية الساحقة من الكنائس الأميركية الإنجيلية والكاثوليكية والأرثوذكسية، في الولايات المتحدة نفسها وفي العالم كله، ترفض منطق هذه الحركة جملةً وتفصيلاً، وتلتزم بمواقف مسيحية وإنسانية سليمة ومشرفة، فإن العالم العربي ـ الإسلامي مقصِّر في التعاون معها لكبح جماح هيمنة المتصهينين على القرار الأميركي.

يوم الثلاثاء ٢٤ تشرين أول ـ أكتوبر ١٩٩٥م، اتخذ الكونغرس الأميركي بمجلسيْه الشيوخ والنواب، قراراً باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، وبنقل مقرِّ السفارة الأميركية إليها من تل أبيب. يعبِّر هذا القرار عن مدى قدرة الحركة الصهيونية المسيحية على التأثير في صناعة القرار الأميركي. في ذلك الوقت أعدَّ السيناتور بوب دول المشروع بهدف كسب تأييد هذه الحركة في معركة انتخابات الرئاسة الأميركية، التي كان يخوضها ضد الرئيس بيل كلنتون. ورغم أن ثمانية من قادة الكنائس الأميركية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية المشيخية، وقَّعوا على بيان يعارض نقل السفارة الأميركية إلى القدس، ورغم أن الرئيس كلنتون نفسه لم يكن يجد في توقيت القرار، على الأقل، أي خدمة للمصالح الأميركية الاستراتيجية، أو لمساعي التسوية السياسية في الشرق الأوسط التي كانت تقوم بها إدارته، فإن الإثارة الدينية تكاملت مع المعركة الداخلية حول انتخابات الرئاسة لولادة أخطر قرار ألقى

بقفازات التحدي في وجه العالمين الإسلامي والمسيحي معاً. ولقد جدَّد الكونغرس الأميركي تبنِّيه لهذا القرار في شهر أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠٢م، ووقَّع عليه الرئيس بوش نفسه، استجابة لطلب الحركة الأصولية الإنجيلية الأميركية، وكان توقيعه الأول في تاريخ القضية الفلسطينية وقضية القدس.

إن العلاقة بين العمل السياسي ـ العسكري والإيمان الديني بهذه النبوءات، هي علاقة مباشرة، ذلك أن هذه الحركة الكنسية تعلِّم أتباعها أن من واجب الإنسان المؤمن أن يوظف كل إمكاناته، وقدراته لتحقيق إرادة الله، كما تحددها هذه الحركة الدينية، وإن الله يختار من الناس من يؤهِّلهم ويمكِّنهم من القيام بهذا الدور المساعد لتحقيق الإرادة الإلهية، ولذلك كان الرئيس الأسبق ريغان يقول إنه يتمنى أن يمنَّ الله عليه بشرف كبس الزرِّ النووي لتحقيق إرادة الله في وقوع هرمجيدون، ومن ثم بعودة المسيح، حتى إن الرئيس بوش نفسه يقول إن الحرب على العراق هي «مهمة إلهية» يقوم بها من أجل عالم أفضل.

لقد كان القس روبرتسون في دبابة الجنرال دايان عندما احتلَّ القدس في عام ١٩٦٧م، وكان القس جيري فولويل في دبابة الجنرال شارون عندما احتلَّ بيروت في عام ١٩٨٢م.

أما ثالث هؤلاء القساوسة فهو **هول ليندسي Hall Lindsay** مؤلف عشرين كتاباً عن أدبيات الصهيونية المسيحية، لعل أهمها كتاب The Last Great Planet Earth. فالكتاب، استناداً إلى صحيفة «نيويورك تايمز»، هو أكثر الكتب غير الأدبية مبيعاً، فقد طبع ١٠٨ طبعات، وبلغ عدد النسخ التي بيعت منه باللغة الإنكليزية فقط حتى عام ١٩٩٣م، ١٨ مليون نسخة كما ترجم إلى ٥٤ لغة، وبيع منه بهذه اللغات ٢٠ مليون نسخة أخرى.

يحدد ليندسي، في هذا الكتاب، سيناريو نهاية الزمن بقيام صهيون، ووقوع هرمجيدون، والعودة الثانية للمسيح، ومن ثم الألفية التي تسود العالم عدلاً وسلاماً، ويستند في ذلك إلى نبوءات توراتية يربط تفسيرها بوقائع سياسية معاصرة. ورغم أن هذه الوقائع تتغير باستمرار، فإن السيناريو ثابت. ولعل أهم ما في هذا السيناريو أن ليندسي يقول إن الله أوحى به إليه مباشرة، أما كيف حدث ذلك؟ فإن ليندسي يجيب: «إنني أعتقد أن الروح القدس أنار بصيرتي ليس فقط حول ما وصفه يوحنا من تجارب، ولكن أيضاً حول تفسير تفكيك رموز هذه النبوءات بحيث يمكن فهمها تماماً عندما يقترب أوان حدوثها. لقد صليت من أجل تأكيد نظريتي حول رموز الفاجعة»[١].

أما الرئيسان الأميركيان اللذان تعاقبا على البيت الأبيض من بعد الرئيس ريغان، وهما **جورج بوش الأب George Bush-Snr.** وبيل **كلنتون Bill Clinton**، فلم يكن يربط أي منهما بحركة الصهيونية المسيحية أيُّ رابط عقائدي. وخلال عهدَيْ كل من هذين الرئيسين، غُيِّب دور هذه الحركة، إلا أنه عاد بشكل انفجاري في عهد **الرئيس جورج بوش الابن**.

ما كان لتوظيف الدين في السياسة أن يتمتع بصدقية مقدسة، وبالتزام شديد في الدوائر السياسية الأميركية، لو لم يعمل لاهوتيو الحركة الصهيونية المسيحية على ربط الوقائع السياسية بالنبوءات التوراتية، وهذا أمر برع القس هول ليندسي في أدائه بفعالية كبيرة، فهو يقول مثلاً: «إنني أعرف من دراستي للإنجيل أن الحرب النهائية الكبرى سوف تشمل تركيا كجزء من المعسكر الإسلامي المتحالف مع روسيا.. وأن الأمم

---

(١) H. Lindsay, Apocalyse, P. 43.

الكبرى التي يشير إليها الإنجيل هي ممالك الشرق (الصين، الهند، باكستان ـ وكلها أمم نووية) وروسيا (هاجوج ومأجوج) وليبيا ومصر، وإيران والعراق، إلى ما هنالك..»[١].

ومن الملاحظ أن هذه الدول أُدرجت في «محور الشر» الذي أعلنه الرئيس بوش الابن، مثل العراق وليبيا وإيران، أو أنها اعتُبرت الشر نفسه في عهد الرئيس ريغان، مثل روسيا والصين.

أكثر من ذلك، فقد ذهب ليندسي إلى حد الادِّعاء بأن النبوءات التوراتية تتضمن إشارات إلى وقائع وأحداث «مثل صعود الأصولية الإسلامية وانهيار عملية السلام في الشرق الأوسط، وتشكيل الاتحاد الأوروبي»[٢].

حتى الحرب التي شنَّتها الولايات المتحدة (بالتحالف مع بريطانيا وأستراليا) على العراق في ربيع ٢٠٠٣م، تقع في صميم هذه التأويلات للنبوءات التوراتية التي روَّج لها قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية.

فالقس دافيد بريكنر David Brickner مثلاً يقول: إننا نعرف أن تدمير بابل، الذي ورد في الإصحاح ١٨، يعني تدمير العراق، كما أن القس تشارلز داير Charles Dyer، أستاذ اللاهوت في جامعة دالس، يدَّعي أن إصحاح إشعيا ١٣ يشير إلى قيام صدام حسين وإلى غزوه للكويت، وذلك لإقامة قاعدة للهجوم على إسرائيل. واعتبر القس داير، في تفسيراته لهذه النبوءات، صدام حسين خليفة نبوخذنصر (الذي هزم الإسرائيليين وسباهم إلى بابل ودمر الهيكل) وذلك بسبب عدائه لإسرائيل وبسبب نواياه لإعادة بناء بابل[٣].

إن ربط الوقائع السياسية بالنبوءات الدينية عملية متحركة، فإذا كان

---

(١) H. Lindsay, The Final Battle (Palosverdes, California, Western Front, 1995) P.P. 83 - 213.

(٢) H. Lindsay, International Intellegence Briefing, 7 Jan. 1999.

(٣) C. Dyer, The Rise of Babylon (Wheaton, Illinois, Tyndale House, (1991) P. 198.

القس داير يعتبر العراق اليوم بمثابة بابل القديمة، فإن القس سكوفيلد، وهو من اللاهوتيين المؤسسين لهذا الفكر الصهيوني الإنجيلي في الولايات المتحدة، يرفض فكرة التماثل الحرفي بين العراق وبابل، ويقول إن المقصود ببابل وما تمثله من خطر على إسرائيل، هو الفاتيكان، وذلك بسبب ما يكنُّه سكوفيلد وأمثاله من عداء للكاثوليكية وللبابوية.

ولقد ذهب هؤلاء القساوسة، الذين يحتلون مواقع مقربة من الرئيس الأميركي جورج بوش ـ الابن ـ شخصياً، وفي إدارته، إلى حد الادعاء بأن في الإصحاح ١٧ـ ١٤: ١٢ إشارة إلى الولايات المتحدة بالذات. ويفسر هول ليندسي ذلك بأن الإنجيل صوَّر إنقاذ بقية اليهود من محرقة هرمجيدون على شكل امرأة لها جناحان لحملها إلى الصحراء المعدة لها. واعتبر ليندسي أن ذلك هو إشارة إلى عملية نقل جوي كبيرة لنقل اليهود إلى مكان آمن، قد يكون البتراء في الأردن، لدى وقوع معركة هرمجيدون. وقال إنه بما أن النسر هو الشعار الوطني للولايات المتحدة فإن معنى ذلك أن طائرات من الأسطول الأميركي السادس في البحر المتوسط سوف تتولى هذه العملية[١].

خلال عهد الرئيس بوش، وخاصة بعد حادث الحادي عشر من أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م، وما أحدثه من صدمة قوية في المجتمع الأميركي عامة، وفي المؤسسة السياسية ـ العسكرية خاصة، انفلشت الحركة الصهيونية المسيحية وأصبح لها دور فعَّال في بلورة القرار السياسي الأميركي.

في الأساس، تبدو الترجمة السياسية للثوابت العقدية التي تؤمن بها هذه الحركة من خلال الأمور التالية:

---

(١) H. Lindsay, There's a New World Coming, A Prophetic Odysse, (Santa Ana, Cali. Vision House, 1973) P. 185.

* إن الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، يعني وجوب الالتزام بدعم إسرائيل ومساعدتها ليس كعمل سياسي فقط إنما كواجب ديني، لأن الله هو الذي اختار، وعلى الناس أن يحترموا وأن يقدسوا هذا الاختيار، وذلك باحترام إسرائيل وتقديسها.

* إن الإيمان بأن الله منح الشعب اليهودي الأرض المقدسة (فلسطين)، يعني ليس فقط تأييد قيام إسرائيل، إنما مساعدتها على إقامة المستوطنات، وعلى تهويد الضفة الغربية والسامرا (الضفة الغربية).

* إن الإيمان بأن القدس هي جزء من الأرض الموعودة للشعب اليهودي، يعني مساعدة إسرائيل على الحصول على اعترافات عالمية بضمِّ القدس وتهويدها وباعتبارها عاصمة أبدية لها.

* إن الإيمان بأن من شروط العودة الثانية للمسيح بناء الهيكل، يعني تمويل مشروع بناء الهيكل، ويعني، قبل ذلك، إزالة العقبات التي تحول دون بنائه وفي مقدمتها وجود المسجد الأقصى في الموقع الذي يجب أن يقوم عليه الهيكل.

* إن الإيمان بحتمية معركة هرمجيدون، التي تسبق بالضرورة العودة الثانية للمسيح، يعني تعطيل مساعي التسوية والسلام، ودفع الأمور في الشرق الأوسط بصورة دائمة نحو الاضطراب ونحو العداء المتبادل بين العرب واليهود. فالسلام يعطِّل هرمجيدون، وبالتالي يؤخِّر العودة المنتظرة، أما الصراعات فإنها تمهِّد لهرمجيدون وتعجل بالعودة.

مؤسسات
الحركة الصهيونية المسيحية

إن الانتقال بالإيمان من الروحي إلى الممارسة السياسية، يحتاج إلى جهود تقوم بها منظمات ومؤسسات متخصصة ومتفرغة، وهذا ما قامت، وتقوم به، الحركة الصهيونية المسيحية منفردة، وبالتعاون مع الحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة. إن عدد المنظمات والجمعيات والمؤسسات التي تعمل في هذا الإطار كبير جداً، وفعَّال جداً، ولكن سوف أشير إلى إثنين منها فقط: المؤسسة الأولى هي «اللجنة المسيحية الإسرائيلية للعلاقات العامة» Christian Israel Public Affair Committee، ويرمز لها بالأحرف الأولى بالإنكليزية «سيباك» Cipac ويترأسها إد ماكتير Ed McAteer، الذي أسَّسها في عام ١٩٩١، لتكون على شاكلة منظمة الإيباك، التي تضم الجمعيات اليهودية الأميركية التي تعمل من أجل إسرائيل. ويضم مجلس أمناء سيباك: رئيس الإيباك توم داين Tom Dine، وهيربرت زويلبون Herbert Zweilbon رئيس منظمة «أميركيون من أجل سلامة إسرائيل».

وكان أول عمل قامت به سيباك، لدى تأسيسها، هو حثُّ الكونغرس والضغط على الرئيس جورج بوش الأب من أجل منح إسرائيل ضمانات للحصول على قرض بقيمة ١٠ مليارات دولار، لتمويل مشاريع توطين اليهود الروس في مستوطنات تقام لهم في الضفة

الغربية، ومناطق أخرى من فلسطين المحتلة. في ذلك الوقت كان الرئيس بوش يقود حرب إخراج القوات العراقية من الكويت، ويحضِّر لمؤتمر مدريد، ولم يكن متأثراً بطروحات الصهيونية ـ المسيحية، ولذلك (وبالرغم من الحماس الشديد الذي أبداه الصهيونيون المسيحيون لإقرار القرض حتى إنهم فرَّغوا ألف شخصية منهم للعمل بين أعضاء الكونغرس من أجل إقراره)، فقد أصرَّ الرئيس بوش على تأخير موافقته عليه مدة أربعة أشهر.

كذلك فإن الرئيس بيل كلنتون كان (مثل الرئيس بوش الأب) غير ملتزم بأدبيات الصهيونية المسيحية، إلا أنه مع ذلك لم يستطع إلا أن ينحني أمام الضغوط التي مارسوها عليه لإصدار عفو خاص عن المهرِّب الشهير مارك ريتش Mark Rich، وهو بليونير يهودي وضعته الأف. بي. أي. على لائحة أخطر المطلوبين للعدالة.

وقد أشارت إلى ذلك صحيفة نيويورك تايمز، في عددها الصادر في شباط ـ فبراير ٢٠٠١م، ونقلت عن كلنتون قوله إنه «فعل ذلك من أجل إسرائيل».

والمعروف عن ريتش هذا، إنه كان من كبار مموِّلي جهاز الاستخبارات الإسرائيلي ـ الموساد.

مع ذلك تحصل إسرائيل، من كل الإدارات الأميركية، الديمقراطية والجمهورية على السواء، على خمسة أنواع من المساعدات المالية الأميركية.

النوع الأول والأهم: هو المساعدة السنوية المعلنة، والتي تبلغ ١,٢ مليار دولار مساعدة اقتصادية، و ١,٨ مليار دولار مساعدة عسكرية، أي ما مجموعة ٣ مليارات دولار سنوياً.

النوع الثاني: هو المساعدة السنوية غير المعلنة، والتي ترد ضمناً في

موازنات عدد من الوزارات وخاصة وزارة الدفاع، وتقدَّر نسبة هذه المساعدات بأكثر من ١٢ بالمئة من المساعدة المعلنة، وفي عام ١٩٩٣م وحده بلغت قيمتها ١,٢٧١ مليار دولار.

النوع الثالث: احتساب قيمة المساعدة ابتداء من مطلع العام، رغم تسديدها على مدار السنة، وهذا يعني أن تضاف إلى قيمة المساعدة الأساسية الفائدة السنوية المترتبة عليها ابتداء من مطلع العام، أي إن المساعدة الأميركية لإسرائيل تتحول، فور إقرارها، إلى دين على الإدارة الأميركية تسدده مع فوائده السنوية، ومن شأن هذا الأمر أن يرفع من حجم المساعدة بنسبة قيمة الفائدة.

النوع الرابع: هو القروض الإئتمانية التي تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل والتي تبلغ قيمتها عشرة مليارات دولار.

النوع الخامس: هو التبرعات التي يقدمها يهود الولايات المتحدة ومناصروها من غير اليهود، وهي تبرعات معفاة من الضريبة، وتبلغ قيمتها السنوية مليار دولار.

إستناداً إلى إحصاءات علمية، فإن إسرائيل حصلت منذ قيامها في عام ١٩٤٩م حتى ٣١ أكتوبر من عام ١٩٩٩م على مساعدات بقيمة ٩١ مليار و ٨١٦ مليون و ٥٠٧ آلاف و ٢٠٠ دولار.

هذا يعني أن كل يهودي من سكان إسرائيل، الذين بلغ عددهم ٦,١ مليون شخص رجلاً وامرأة وطفلاً، حصل على مبلغ قدره ١٥ ألف و ٥٢ دولاراً، علماً بأن معدل الدخل السنوي الفردي في إسرائيل يبلغ ١٦ ألف و ١٨٠ دولار، وهو معدل يقارب المعدلات الأوروبية الغربية، بل ويزيد على بعضها كإسبانيا مثلاً.

بالمقارنة، قدمت الولايات المتحدة إلى دول أميركا اللاتينية، وإلى دول جنوب الصحراء الإفريقية مجتمعة، خلال الفترة ذاتها ١٩٤٩ـ

١٩٩٩م، ما مجموعة ٦٤ مليار و ١٢٧ مليون و ٥٠٠ ألف دولار، أي أقل من نصف ما قدمته لإسرائيل، علماً بأن عدد سكان هذه الدول يبلغ ملياراً و ١٤٢ مليون إنسان، وإذا قسمنا هذه المساعدة التي قُدِّم معظمها بمناسبات الكوارث الطبيعية، فإن حصة المواطن تصل إلى ٥٦ دولاراً و ١٥ سنتيماً.

تقدم الولايات المتحدة لإسرائيل وحدها ثلث الموازنة السنوية المخصصة للمساعدات الخارجية إلى العالم كله، مما يبيِّن الموقع الخاص لإسرائيل في القرار الأميركي.

أما المؤسسة الثانية للحركة الصهيونية المسيحية، التي تعمل من أجل إسرائيل في الولايات المتحدة، فهي مؤسسة «الإئتلاف الوحدوي الوطني من أجل إسرائيل» The National Unity Coalition for Israel (NUCFI)، وتضم هذه المؤسسة ـ التي أقامها في عام ١٩٩٤م إيثر لفنس Ether Levens ـ ٢٠٠ جمعية ومنظمة يهودية ومسيحية أميركية، يبلغ مجموع أعضائها حوالي ٤٠ مليون شخص.

ومن هذه المؤسسات التابعة مباشرة للحركة الصهيونية المسيحية «جسور من أجل السلام» Bridges For Peace، و «السفارة المسيحية الدولية» The International Christian Embassy، و «مسيحيون من أجل إسرائيل» Christians For Israel، ومهمتها دعم إسرائيل لدى المؤسسات الإعلامية والسياسية الأميركية. وفي إطار هذا العمل يتم التشهير بأصحاب المواقف المعتدلة من السياسيين أو الصحفيين أو الكتَّاب، ويشهَّر بكل من يرفع صوته ضد إسرائيل، وقد دفع بالفعل كثيرون من الشخصيات الأميركية ثمن ذلك استبعاداً وعزلاً وتشويهاً.

علاقة الرئيس بوش بالصهيونية المسيحية

لم يكد يمرُّ عام على **تسلُّم الرئيس جورج بوش ـ الابن ـ** مقاليد الرئاسة في البيت الأبيض حتى تجمَّعت لديه، وفيه، العوامل التالية:

العامل الأول: هو إيمانه والتزامه بعقيدة حركة الصهيونية المسيحية، الأمر الذي تجسَّد في تقرُّب قادة هذه الحركة منه، والتأثير عليه كرئيس للولايات المتحدة. وبمناسبة أداء صلاة الفصح يوم الجمعة العظيمة ١٨ نيسان ـ أبريل ٢٠٠٣م، التي ترأسها القس فرانكلين غراهام، قال الرئيس بوش، في معرض إشادته بالقس غراهام: «لقد غرس في قلبي بذور الإيمان فتوقفتُ عن تعاطي المسكرات واعتنقتُ المسيح». أما غراهام نفسه فحمل، في هذه المناسبة الدينية، على الإسلام وقال «إن الفرق بين الإسلام والمسيحية هو كالفرق بين الظلام والنور»[١].

العامل الثاني: هو نجاح المنظمات والمؤسسات والجمعيات، التابعة لحركة الصهيونية المسيحية، في تعزيز حضورها السياسي والإعلامي والديني على حد سواء، وتحوُّلها إلى قوة انتخابية وإلى قوة ضغط شديدة الفعالية والتأثير.

---

(١) Maureen Dowd, Pentagon Crusaders, Add Insult to Injury, Herald Tribune, April 22 - 2003.

العامل الثالث: هو وقوع مأساة ١١ أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م في نيويورك وواشنطن، التي ألهبت مشاعر العداء ضد المسلمين والعرب.

تكاملت هذه العوامل الثلاثة في دفع الحركة الصهيونية المسيحية نحو مزيد من التطرف، وكان تطرُّفها هذه المرة مجلبباً بشرعية الرئيس الأميركي نفسه. وقد وجدت ثقافة كراهية الإسلام، المغروسة في تعاليم الصهيونية المسيحية، في هذه المأساة مرتعاً رحباً للتعبير عن هذه الكراهية، ولتعميق وتوسيع انتشارها، ومن ثم لبناء القرار السياسي الأميركي عليها.

فالقس هول لندسي، مثلاً، حذَّر من «أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل، ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية ـ المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية. إنهم كالشيوعيين، في أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً»[١].

كذلك، فإن القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب».. وأنه «يهدف إلى السيطرة على العالم»، كما اتَّهم المسلمين الأميركيين بأنهم «ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة»، وجاءت تلك الاتهامات من خلال برنامجه التلفزيوني الواسع الانتشار «نادي السبعماية».

ووصف القس جيري فاين Jerry Vine النبي محمد، عليه السلام، في مؤتمر المحفل المعمداني الجنوبي، الذي عُقد في فلوريدا في عام ٢٠٠٢م، بأنه الشيطان نفسه[٢].

وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham، وهو نفسه أيضاً الذي ترأس الصلاة الخاصة بمناسبة أداء القسم الدستوري للرئيس جورج

(١) H. Lindsay, The Final Battle, P. 45.

(٢) Richard Vara, Texas seccesion rumor, attacks on Islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 June (2002).

بوش الابن، قد قال عن الإسلام إنه دين شيطاني وشرير[1]، وقال عنه القس جيري فولويل إنه دين «مزوَّر».

ما كان لهذه الأوصاف الشريرة أن تُنشر وتُذاع (مراراً وتكراراً) في الإعلام الأميركي لو لم تفجِّر مأساة ١١/٩/ ٢٠٠١م مشاعر الحقد على الإسلام وكراهيته.

إن هؤلاء القساوسة الذين يجاهرون بعدائهم للإسلام، ويطلقون يومياً الشتائم بحق النبي محمد، عليه السلام، يشكِّلون الجسر الديني السياسي الذي يربط بين الرئيس جورج بوش والجنرال شارون، وبين إسرائيل والولايات المتحدة.

إن كاتب خطابات وتصريحات الرئيس بوش هو واحد من هؤلاء القساوسة، وهو مايكل جيرسون، ومن السهل تتبع العبارات الدينية ـ التوراتية في كلام الرئيس الأميركي خاصة عندما يتحدث عن الشرق الأوسط.

وكان جيرسون قد حلَّ في هذا العمل محل كاتب آخر هو دافيد فروم الذي اضطر للتخلي عن عمله لأنه لم يكن يشارك الرئيس إيمانه بالولادة الثانية. ويذكر فروم في مذكراته، التي نشرها مؤخراً، إن أول سؤال كان يواجهه في الصباح هو: «لماذا تغيبت عن الدرس الديني؟»، ذلك أنه صباح كل يوم، وقبل بدء العمل في البيت الأبيض، يتجمَّع كبار الموظفين والمستشارين مع الرئيس بوش للاستماع إلى موعظة دينية يقدمها أحد القساوسة، تعقبها صلاة ودعاء.. ثم يتوجه الجميع إلى مكاتبهم.

مع ذلك فإن الكنائس الأميركية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية المختلفة ترفع صوتها منددِّة بالتوظيف السياسي للدين، الذي يتناقض

---

(١) Washington Post, Vol. 18, 2001.

مع ما تقول به العقيدة المسيحية، حتى إن القس ملفين تالبيرت رئيس الكنيسة الميثودية، التي يعتبر الرئيس بوش أحد أبنائها، قال في مقابلة تلفزيونية أجريت معه إن سياسة إدارة الرئيس بوش في الحرب على العراق «تنتهك الشريعة الإلهية كما تنتهك تعاليم السيد المسيح».

ولا شك في أن أشد عبارات التنديد المسيحية، بسياسة الرئيس بوش، وردت على لسان البابا يوحنا بولس الثاني، ثم إن البيان الذي صدر في الخامس من شباط ـ فبراير ٢٠٠٣م عن المؤتمر المشترك لمجلس الكنائس العالمي، ومؤتمر الكنائس الأوروبي والمجلس الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، يُعتبر عن حق «البيان المسيحي» المبدئي الجامع والرافض للحرب على العراق، باعتبارها حرباً غير مبرَّرة أخلاقياً أو دينياً، وقد ندد البيان بمبدأ اللجوء إلى القوة العسكرية بدلاً من المساعي السياسية لحلِّ الخلافات.

من هنا فإن الحرب الأميركية على العراق لم تكن حرباً مسيحية على الإسلام، ولكنها كانت وجهاً متقدماً من الحرب التي أرادتها الحركة الصهيونية بجناحيْها اليهودي والمسيحي، والتي جعلت من إدارة الرئيس بوش حصناً لها ومخلباً.

ولقد وصف عالِمُ الاجتماع الدكتور حليم بركات، الرئيس بوش الابن بأنه أشبه ما يكون بـ «الروبوت المبرمج» منه إلى الإنسان المنفتح[1].

والذين يبرمجون الرئيس الأميركي هم قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية. «فالرئيس بوش هو من النوع الذي لا يدخل في نقاش مع نفسه، ولا يمارس التساؤل لكونه أيضاً ينطلق من مرجعية فكر ديني مطلق، لم يكن غريباً أنه صنَّف مجتمعات العالم إلى متحضِّرة وغير

(١) جريدة الحياة ـ ٢٤/ ٤/ ٢٠٠٣ م.

متحضِّرة، وخيِّرة وشريرة، وعليها أن تختار أن تكون ضده أو معه، وتوعَّد مَنْ ليس معه بالعقاب الشديد». ومن هذا المنطلق الديني الأصولي يرى أن الأحداث التاريخية تتمُّ، كما قال الكاتب جاكسون ليرز، على «يد إله عادل ومخلِّص»، وأن «رئاسته جزء من خطة مقدسة»، حتى إنه قال لصديق له، عندما كان حاكماً لولاية تكساس، إن «الله يريده أن يترشح للرئاسة.. وأوعز للولايات المتحدة بأن تقود حملة صليبية تحريرية في الشرق الأوسط»[(١)]، بل ذهب جاكسون ليرز، في هذه المقالة، إلى القول بأن «اللغة الدينية الأصولية كثيراً ما تُستعمل في الثقافة السياسية الأميركية خصوصاً بين أنصار بوش، الذين يؤمنون بأنهم يعملون بإرشاد إلهي وينفِّذون إرادة الله».

هذه هي بالذات الأصولية المسيحية التي تحرِّض، بالتحالف مع الصهيونية العالمية، على الحرب في فلسطين، وكانت وراء الحرب على العراق. هؤلاء الأصوليون يرون أنفسهم مسيَّرين بقانون القوة المستمد من خارج التاريخ والإرادة البشرية، ولذلك استطاع بوش أن يتجاهل ما لا يتَّفق مع معتقداته، ويمضي في غيِّه في طريق الحرب ضد مشيئة الأسرة الدولية بمعزل حتى عن حلفاء أميركا التاريخيين. وفي هذا السياق قال الكاتب الألماني غانتر غراس إن جورج بوش «أصولي يُقحم الله في الوقوف إلى جانبه. وبهذا شكل بوش خطراً على بلاده ويسيء إلى صورتها»[(٢)].

لم تكن السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، في أي وقت منذ عام ١٩٤٨م، الوجه الآخر للسياسة الإسرائيلية كما هي اليوم، ويمكن قراءة

---

(١) نيويورك تايمز ـ ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م.
(٢) نيويورك تايمز ـ ٨/ ٤/ ٢٠٠٣ م.

مواقف الرئيس الأميركي جورج بوش في ضوء مواقف رئيس الحكومة الإسرائيلية الجنرال شارون وبالعكس:

* الموقف من الأمم المتحدة وشرعتها، ومن مجلس الأمن الدولي وقراراته.

* الموقف من مبدأ اللجوء إلى الحرب، ومن توظيف التفوق العسكري لفرض الأمر الواقع على الطرف الآخر.

* الموقف من رفض المساعي الدبلوماسية، ومحاولة إملاء التسوية بالقوة العسكرية وبالشروط التي تحددها.

* الموقف من الرأي العام العالمي استخفافاً وتجاهلاً.

غير أن القاسم المشترك الأعمق والأهم بين بوش وشارون، وبالتالي بين سياستَيْ الولايات المتحدة وإسرائيل، يحدده اليمين الديني المتطرف المتمثل بالحركة الصهيونية، الذي يلعب دوراً أساسياً في صياغة القرارات السياسية في الولايات المتحدة وفي إسرائيل في الوقت نفسه، ذلك أن معظم أعضاء فريق العمل في البيت الأبيض، وفي وزارة الدفاع، يتألف من يهود وأميركيين عَمِل بعضهم مستشارين لحكومات إسرائيلية سابقة، وبسبب يهوديتهم فإنهم إسرائيليون أيضاً، أي أنهم يحملون الجنسية الإسرائيلية وهم أعضاء في حزب الليكود الذي يترأسه الجنرال شارون، وهؤلاء هم الذين اقترحوا على نتنياهو، في عام ١٩٩٦م، العمل مع الإدارة الأميركية على إسقاط النظام في العراق، وعلى تفتيت وحدة العراق الوطنية من خلال ضرب الشيعة بالسنَّة، والأكراد بالعرب، والمسلمين بالمسيحيين، وهم الذين اقترحوا على الليكود أيضاً التخلِّي عن اتفاق أوسلو (١٩٩٣م) مع الفلسطينيين، وفرض أمر واقع على الأرض الفلسطينية يتجاوز الالتزامات الإسرائيلية التي ينصُّ عليها الاتفاق، وهم الذين عملوا على تعطيل اتفاق باراك ـ

عرفات الذي حاول الرئيس الأميركي السابق بيل كلنتون تمريره، في الأسابيع الأخيرة من ولايته، والتي توِّجت بفضيحة مونيكا لوينسكي!!.

وأبرز هذه الشخصيات:

* دوغلاس فيث، المستشار السياسي لوزارة الدفاع ونائب الوزير دونالد رامسفيلد، وهو عضو بارز في المنظمة الصهيونية الأميركية.

* ريتشارد بيرل، مستشار الرئيس جورج بوش لشؤون الشرق الأوسط، ورئيس المجلس السياسي بوزارة الدفاع (البنتاغون)، وممثل شركة سولتام الإسرائيلية للأسلحة، وكان قد اتُّهم وأُدين بتسريب معلومات سرية أميركية إلى إسرائيل.

* كارل روف، المستشار السياسي للرئيس بوش، وأحد أقرب المقرَّبين إليه.

* بول وولفويتز، منظِّر الحرب على العراق، وأحد واضعي خطط هذه الحرب، وهو يشغل منصب نائب وزير الدفاع.

* إليون أبراهامز، مستشار مجلس الأمن القومي، الذي يُعتبر مطبخ القرارات السياسية الأميركية، وكان قد حُكم عليه بالسجن بسبب الإدلاء بشهادة كاذبة أمام الكونغرس في عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان تتعلق بصفقات أسلحة لجماعة الكونترا في نيكاراغوا المؤيدة للولايات المتحدة إلا أن الرئيس بوش أصدر عفواً خاصاً عنه.

* ريتشارد هاس، عضو مجلس الأمن القومي، ومستشار نتنياهو سابقاً، وهو من أكثر المتشددين في الدفاع عن نظرية الحرب على العراق وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط من جديد.

ولكن ما كان لهذه الشخصيات اليهودية ـ الأميركية أن تتمكن من فرض هذا التوجه على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، لو لم تكن تتمتع بغطاء ديني ـ سياسي توفره لها شخصيات دينية صهيونية غير يهودية في الولايات المتحدة.

ولعل من أبرز هذه الشخصيات القس بات روبرتسون (كان مرشحاً للرئاسة الأميركية في عام ١٩٨٠م)، والقس جيري فولويل، والقس غاري بوير (كان مرشحاً للرئاسة في عام ٢٠٠٠م)، والقس ريتشارد لاند رئيس المحفل المعمداني في جنوب الولايات المتحدة.

وتنضوي تحت لواء الحركة الدينية السياسية، التي يقودها هؤلاء شخصيات سياسية تتمتع بنفوذ واسع أمثال توم دي لاي، زعيم الأكثرية في الكونغرس الأميركي، الذي وصف إسرائيل بأنها «الينبوع الوحيد للحرية في الشرق الأوسط»، والذي يدعو إلى تأييد العمليات التي تقوم بها إسرائيل لتهويد الضفة الغربية كلها وخاصة القدس باعتبارها جزءاً من الأرض الموعودة للشعب اليهودي.

وبين المجموعة الأولى (اليهودية ـ الصهيونية) من المفكِّرين السياسيين المنغرسين في المطبخ السياسي الأميركي (مجلس الأمن القومي ـ وزارة الدفاع ـ والبيت الأبيض) والمجموعة الثانية (المسيحية ـ الصهيونية) من القساوسة الذين استقطبوا الرئيس بوش نفسه، ومعه عدداً من وزراء إدارته الحالية، والذين يسيطرون على آلة إعلامية تلفزيونية وصحفية واسعة النطاق، ويتحدثون من على منابرهم الكنسية باسم الله، هناك مجموعة ثالثة من اليهود الأميركيين تلعب دور الجسر بين المجموعتين الأولى والثانية، ومن أبرز شخصياتها الحاخام ياشيل إيكشتاين.

يقول إيكشتاين: «إن سياسة الرئيس بوش تنطلق من إيمانه العميق بمسيحيته، ومن تمييزه بين الشر والخير، وتصميمه على وجوب الوقوف في وجه الشر ومحاربته.. وبالتالي فإن مواقفه تعبِّر عن قناعات شخصية وليست مناورة سياسية».

وفي الواقع فإن الجمع في إدارة أميركية واحدة بين الأصوليين الإنجيليين المتصهينين، وغلاة المحافظين السياسيين المرتبطين بإسرائيل

وبالحركة الصهيونية العالمية، يشكل ظاهرة فريدة تميَّز بها الرئيس بوش دون سواه، وقد أشارت إلى ذلك صحيفة «لوموند» Le Monde الفرنسية، فقالت:

«لا يجب، أولاً، الخلط بين المحافظين الجدد والمسيحيين الأصوليين الموجودين بدورهم في محيط الرئيس بوش، كما أنه لا علاقة لهم بانبعاث «التمامية» البروتستانتية الآتية من الولايات الجنوبية، والتي ينضوي أصحابها تحت اسم «الحزام التوراتي»، وهو التيار المتصاعد النفوذ اليوم بين صفوف الحزب الجمهوري.

يأتي التيار المحافظ الجديد من الجانب الشرقي في الولايات المتحدة كما من كاليفورنيا، أما المرشدون فيه فيتمتعون بصفة النخبة «الفكرية»، وغالبيتهم من النيويوركيين واليهود الذين كانت بداياتهم في معسكر اليسار، وبعضهم يحتفظ بصفة الانتماء إلى تيار الديمقراطيين. إنهم يحملون بأيديهم مجلة أدبية أو سياسية، وليس التوراة، وغالباً ما يدلي هؤلاء بأفكار تحرُّرية في الشؤون الاجتماعية والأعراف الأخلاقية، وليس هدفهم منع الإجهاض، ولا فرض التعليم الديني في المدارس، ذلك أن طموحهم في مكان آخر.

ويعتبر بيار هاسنير أن دموية إدارة بوش تعود إلى قيام هذه الإدارة بالجمع بين التيارين. لقد فتح جورج بوش المجال كي يعيش المحافظون الجدد والمسيحيون الأصوليون معاً. هؤلاء الأصوليون يمثِّلهم في الإدارة أناس مثل جون أشكروفت وزير العدل، أما المحافظون الجدد فيحتلُّ أحد نجومهم، بول وولفويتز، منصب مساعد وزير الدفاع. لقد استطاع جورج بوش، الذي سار بحملته السياسية في وسط اليمين من دون الرسو في موقع محدد، أن يحقِّق مزيجاً (كوكتيل) مذهلاً ومتفجِّراً في آنٍ معاً، وذلك بجمعه بين وولفويتز وأشكروفت،

بين المحافظين الجدد والمسيحيين «التماميين»، وهما «الكوكبان المتعارضان»[1].

مع ذلك فإن الحرب على العراق تمَّت تحت غطاء سياسي يقوم على مبدأ الحرب الوقائية.

في عام ١٩٦٧م، وصفت إسرائيل الحرب، التي شنَّتها على مصر وسورية، بالحرب الوقائية بحجة أن مصر أغلقت مضائق تيران وأنهت عمل قوات المراقبين الدوليين.

وفي عام ١٩٨١م، استخدمت إسرائيل الوصف ذاته، أي الحرب الوقائية، عندما قصفت المفاعل النووي العراقي قرب بغداد.

وفي العام التالي ١٩٨٢م، قامت بغزو لبنان مستخدمة الذريعة ذاتها لإبعاد فصائل المقاومة الفلسطينية إلى ما وراء نهر الليطاني، إلا أن الحرب الوقائية المزعومة حملتها إلى قلب العاصمة بيروت.

وتحت شعار الحرب الوقائية، اجتاحت القوات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية وغزة، ودمرت البنية التحتية للمجتمع الفلسطيني، وشلَّت سلطته الوطنية وشلَّت حركة رئيسها بعد أن فرضت عليه الإقامة في ما تبقى من مبنى الرئاسة الفلسطينية.

تجد هذه المدرسة الإسرائيلية، في العمل السياسي ـ العسكري، رواجاً واسع النطاق في عالم بعد الحادي عشر من أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م؛ فالولايات المتحدة استخدمتها لتمرير عدوانها على العراق، حتى أن الرئيس جورج بوش جعل من الحرب الوقائية مبدأً جديداً في سياسته الخارجية في خطاب ألقاه في يونيو ـ حزيران ٢٠٠٢م، في القاعدة العسكرية وست بوينت. هناك أعلن ما لم يعلنه أي رئيس أميركي من قبل.

---

(١) Le Monde, 15/4/2003.

قال: «إن على القوات الأميركية، في المستقبل، أن تبادر إلى التحرك قبل أن تصبح التهديدات حقيقة واقعة. فالأمن الأميركي يتطلب من جميع الأميركيين أن يكونوا على استعداد لعمل وقائي». بهذا المبدأ يكون الرئيس بوش قد طوى صفحة الدبلوماسية الأميركية، التي سادت طوال ٥٠ عاماً من الحرب الباردة، والقائمة على مبدأي التصدي والاحتواء، وكانت الحرب على العراق أول ترجمة عملية للمبدأ الجديد.

طبعاً لم يأخذ الرئيس بوش وحده بالحرب الوقائية، فالرئيس الروسي فلاديمير بوتين يرى فيها مخرجاً لقراره بمطاردة الانفصاليين الشيشانيين إلى داخل جورجيا، حتى إن وزير الدفاع الروسي سيرجي إيفانوف يعتبر أنه إذا كان من حق الولايات المتحدة استخدام الحرب الوقائية ضد العراق، الذي يقع على الطرف الآخر من العالم، فإن من حق روسيا استخدام هذه الحرب ضد جورجيا المجاورة لها.

وتتبنى الهند هذا المنطق ذاته في صراعها مع باكستان حول كشمير، ولقد أعلن ذلك رسمياً وزير خارجيتها جاسوات سينغ في أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠٢م بقوله: «إن من حق أي أمة أن تلجأ إلى الحرب الوقائية لردِّ الأذى عنها».

وتبناه أيضاً رئيس الحكومة الأسترالية جون هوارد بعد الجريمة، التي وقعت في بالي بأندونيسيا وذهب ضحيتها ١٩٠ سائحاً بينهم عدد كبير من الأستراليين، وقد أدى موقف هوارد إلى ردود فعل هائجة في الدول المجاورة لأستراليا والمعنية بالحرب الوقائية التي هدد باللجوء إليها، وهي أندونيسيا والفلبين وماليزيا.

لقد كان هناك دائماً منطق سياسي يقوم على التخوف من نوايا عدوانية تُعدُّ في الخارج مخططات تخريبية لتنفذ في الداخل، ولكن كان هناك، في الوقت نفسه، احترام للقانون الدولي ولسيادة الدولة أو الدول

التي يُعتقد أنها مأوى لأصحاب هذه النوايا، سواء عن جهل منها أو حتى عن معرفة، وكان اللجوء إلى الدبلوماسية بوجهيها التوددي أو الاستعدائي أداة فعَّالة لمعالجة هذه القضايا.

ولكن يبدو أن الحرب الوقائية، أي المبادرة إلى ضرب الدولة أو الدول التي يُشَك في أنها تأوي «إرهابيين»، أصبحت الوسيلة الوحيدة للعمل، وذلك على غرار ما فعلته إسرائيل مراراً قبل ١١ أيلول ـ سبتمبر وبعده!!.

من هنا، فإذا كان من حق كل دولة أن تلجأ، منفردة أو بالتحالف مع دول أخرى، إلى الحرب الوقائية للدفاع عن نفسها أو عن مصالحها، فماذا يبقى لشرعة الأمم المتحدة وللنظام العالمي؟.. ألا يعني ذلك سيادة شريعة الغاب وسقوط المنظمة الدولية؟!.

إن الاتهام الذي وُجِّه إلى العراق أنه لم يحترم قرارات الأمم المتحدة لا يوجَّه إلى إسرائيل، رغم انتهاكاتها السافرة لقرارات المنظمة الدولية وللقانون الدولي، ولكن ما ينطبق على العراق لا ينطبق على إسرائيل، لمجرد أن إسرائيل تمثل في وجودها، وبالتالي في مصالحها، إرادة إلهية، أما العراق، بل أي دولة أخرى معارضة لإسرائيل، فإن وجودها هو وجود شيطاني، ومصالحها هي مصالح شيطانية لا بدَّ من استئصالها.

البُعد الديني
للحرب على العراق

بهذه الخلفية الدينية، كان قرار الحرب على العراق... وبهذه الخلفية أيضاً، طلبت وزارة الدفاع من الجنود الأميركيين، الذين أُرسلوا إلى العراق، أن يصلُّوا وأن يدعوا الله حتى تبقى قرارات الرئيس قرارات **«إلهية»** بعيدة عن مؤثرات الأصوات **«البشرية»** المعترضة على هذه الحرب داخل الولايات المتحدة وخارجها.

فالبيانات الرافضة للحرب التي أصدرتها المجالس الكنسية الأميركية، بما فيها الكنيسة الميثودية التي كان ينتمي إليها الرئيس بوش نفسه، والمسيرات الشعبية الكبيرة التي عمَّت المدن الأميركية وسواها من مدن العالم، لم تغيِّر من موقف الرئيس بوش، فهو، تحت تأثير تحالف القوى اليهودية ـ الصهيونية والمسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة، يعتقد أن جميع معارضي سياسته الحربية على ضلال، وأنه (مع رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير) على صواب، وأنه يحقق ـ بما يقوم به ـ المشيئة الإلهية.. وأنه مكلَّف، بموجب ذلك، بالدفاع عن إسرائيل التي تجسِّد هذه المشيئة الإلهية.

مع ذلك، فقد وصف مرجعان دينيان الحربَ الأميركية على العراق بأنها «حملة صليبية». المرجع الأول كان الفاتيكان، أما المرجع الثاني فكان الأزهر الشريف.

جاء الوصف الفاتيكاني في إطار التنديد بالحرب الأميركية، وقد ذهب في تنديده بها إلى حدٍّ وصفها بالصليبية، وفي ذلك إدانة ليس فقط لهذه الحرب، إنما للحرب التي تعرَّض لها المشرق العربي بكل جماعاته الدينية، الإسلامية والمسيحية واليهودية، على أيدي غزاة حملوا شعار الصليب تغطية لطموحاتهم التوسعية. ومنذ أن بدأ الفاتيكان مبادرته لتصحيح الذاكرة التاريخية، ولتنقية الضمير المسيحي من أخطاء الماضي التي ارتُكبت باسم المسيحية، كنا نتساءل: متى يعتذر الفاتيكان عن الحروب التي اجتاحت الشرق تحت عباءة باباوية فضفاضة؟..

لقد ورد الاعتذار، بصورة غير مباشرة، منذ أكثر من عام في إطار رسالة بابوية أشارت إلى المظالم التي لحقت بشعوب عديدة تحت شعار الصليب، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الحروب الصليبية من دون أن يسميها، إلا أن الإدانة الشديدة جاءت في إطار وصف الحرب الأميركية على العراق بالصليبية، وهو وصف يؤكد على أمرين أساسيين انطلاقاً من موقف سيد الفاتيكان المستهجِن والمستنكِر لهذه الحرب:

الأمر الأول هو تشبيه الحرب الأميركية بمثيلاتها التي جرت قبل ألف عام تقريباً، من حيث استخدام شعارات مسيحية لتغطية مطامع استعمارية وتوسعية.

أما **الأمر الثاني** فهو أن إدانة الحرب الأميركية بسبب هذا الاستخدام ينسحب على إدانة الحروب الصليبية ذاتها التي سبقتها، وهذا موقف أخلاقي شجاع يضاف إلى الرصيد الكبير للبابا يوحنا بولس الثاني.

وكنا نفضل ألا يستخدم الأزهر الشريف عبارة «الحروب الصليبية» لسببين أساسيين: **الأول** هو أن الأزهر أغفل عن حقيقة تاريخية وهي أن العرب استخدموا عبارة حروب الفرنجة حتى وقت متأخر، في وصفهم للحملات الاستعمارية الدموية الأوروبية التي تعرَّضوا لها، وذلك إدراكاً

منهم للحقيقة الثابتة، وهي أن ضحايا تلك الحروب لم يكونوا مسلمين فقط بل كانوا مسيحيين ويهوداً أيضاً، وإن هدفها لم يكن تحرير بيت المقدس(؟) بل استعمار المنطقة حيث أقام الغزاة فيها دويلات وإمارات وممالك، أما الصفة الصليبية لتلك الحروب فقد وردت على أقلام وألسنة المؤرخين الأوروبيين أنفسهم، إمعاناً في التضليل..

أما **السبب الثاني** فهو أن هذا الاستخدام يغفل المعاني الروحية والمعنوية للمواقف التي عبَّر عنها العالم المسيحي ضد الحرب الأميركية على العراق.

فقد صدرت بيانات عديدة عن البابا يوحنا بولس الثاني نفسه، وعن مجلس الكنائس العالمي في جنيف، وعن مجلس كنائس المسيح في نيويورك، وعن مجلس كنائس الشرق الأوسط في بيروت، وكذلك عن رئيس أساقفة كانتربري في لندن، وعن العديد من رؤساء الكنائس الإنجيلية والأرثوذكسية والكاثوليكية في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية.

أما عربياً، فإضافة إلى بيانات وتصريحات الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط القس رياض جرجور، صدرت بيانات ومواقف مماثلة عن البابا شنودة في مصر، وعن البطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير في بيروت، وعن البطريرك الأرثوذكسي أغناطيوس الرابع هزيم في دمشق، وقد جرَّدت هذه البيانات الحرب من أي أخلاقية، وقطعت أي صلة لها بالمسيحية وبالتالي بالصليب، شعار المسيحية ورمزها.

ثم إن بيان الأزهر الشريف تغافل ـ عن غير قصد منه بالتأكيد ـ عن المعاني الرمزية لمظاهرات الملايين من المسيحيين ضد الحرب الأميركية، والتي عمَّت العالم من أستراليا حتى لندن، ومن بكين حتى بيونيس أيريس، بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها من المحيط إلى

المحيط، وبين هذه الملايين من يؤمن بالكاثوليكية، أو بالأرثوذكسية، أو بالإنجيلية (ومنهم من قد لا يؤمن بأي دين).

من هنا ما كان يصحُّ للأزهر الشريف، بما يمثله من مرجعية وبما لكلمته من معنى وصدى، أن يصف حرب بوش بالصليبية، ذلك أن هذا الوصف، فوق مجافاته للحقيقة، يجرح مشاعر المجالس الكنسية ومشاعر المؤمنين بالمسيحية في مشارق الأرض ومغاربها، وخاصة في العالم العربي.

ثم إن هذا الوصف الخاطىء (ذلك تَمَّ التراجع عنه فيما بعد لحسن الحظ) كان قابلاً لسوء التوظيف وسط أجواء الاضطراب والتشنج التي تسود المجتمعات العربية جراء الحرب الأميركية على العراق، ذلك أن اعتبار هذه الحرب الظالمة حرباً صليبية يوحي بأن أهلنا وإخواننا المسيحيين العرب، في أقطارنا العربية المختلفة، هم في موضع المتهم أو الشريك أو المتعاطف، في الوقت الذي لا يحتاج فيه المسيحي العربي إلى شهادة في الالتزام بوطنيته وبقوميته من أي جهة أهلية.

عندما استخدم الرئيس الأميركي جورج بوش عبارة «الصليبية» الممجوجة، جوبه بردٍّ فعل مسيحي وإسلامي حاد داخل الولايات المتحدة وخارجها، فاضطر إلى التوقف عن استخدامها بعد أن أقرَّ المتحدِّثون باسمه بأن ما حدث كان زلة لسان.

لا شك في أن الأزهر يعرف جيداً أن ضرب العلاقات الإسلامية ـ المسيحية والعلاقات السنِّية ـ الشيعية، والعلاقات العربية ـ الكردية، يحتلُّ الأولوية في أهداف الحرب الأميركية، ولا شك كذلك في أن الأزهر الشريف حريص على هذه العلاقات كلها، وأنه يرفع صوته عالياً ضد الحرب الأميركية، ليس فقط دفاعاً عن العراق وشعبه الشقيق، إنما دفاعاً عن وحدة المجتمعات العربية من مشروع التفتيت الأميركي ـ

الإسرائيلي الذي يستهدفها، ولا شك أيضاً في أن الأزهر يثمِّن عالياً الموقف المسيحي العربي والموقف المسيحي الدولي، وأهمية ذلك في تعزيز مناعة الجبهة العربية ذاتياً ودولياً في وجه الاجتياح الأميركي للمنطقة.

قبل الحرب الأميركية على العراق، صبَّ قساوسة الصهيونية المسيحية جام غضبهم على الانتفاضة الفلسطينية، ووقفوا ضد أي تسوية سياسية انطلاقاً من إيمانهم بأن السلام والأمن والاستقرار في الشرق الأوسط يتعارض مع مستلزمات العودة الثانية للمسيح، وفي مقدمتها حتمية معركة هرمجيدون.

لقد رفع هؤلاء القساوسة الصوت عالياً ضد اتفاق أوسلو، وضد اتفاق واي ريفر، وكذلك ضد قرارات الأمم المتحدة (٢٤٢ و ٣٣٨). فالقس والتر ريغانز مثلاً **Walter Reggans**، دعا إلى محاربة إتفاقي أوسلو وواي ريفر بحجة أن الاتفاقين يمنحان الشرعية «للطموحات» الفلسطينية في القدس، وفي الضفة الغربية، وحذر من أن ذلك سوف يشكل الخطوة الأولى في مسيرة الفلسطينيين «الإرهابيين» نحو القضاء على إسرائيل. وحتى يعطي هذا الموقف السياسي خلفية دينية أعلن القس ريغانز: «إن اتفاقات السلام هي خيانة لله ولنواياه نحو الشعب اليهودي.. فالسلام كاذب لأن جذوره تنطلق من الشيطان»[١].

لا يتفرَّد القس ريغانز بهذا الربط بين السياسي والديني، ذلك أن هذا الربط يشكل القاعدة الثانية في التأويلات التوراتية لأحداث الشرق الأوسط، بل لصناعة هذه الأحداث في ضوء هذه التأويلات.

---

(١) Walter Riggans, The Messianic Community and the Hand Shake, Shalomi, 1995.

فالقس كلارنس واغنر Clarence Wagner يقول: «علينا أن نشجع الآخرين على فهم الخطط الإلهية وليس الخطط التي هي من صنع الإنسان في الأمم المتحدة، أو حتى في الولايات المتحدة، أو الاتحاد الأوروبي، أو في أوسلو أو في واي ريفر إلخ.. إن الله بعيد عن أي مخطط يعرِّض مدينة القدس للصراع، بما في ذلك منطقة جبل الهيكل وجبل الزيتون، وهو أبعد ما يكون عن إعطائها للعالم الإسلامي. إن المسيح لن يعود إلى مدينة إسلامية تدعى القدس، ولكنه سيعود إلى مدينة يهودية موحدة تدعى (جروزالم)»[1].

وفي الأول من كانون الثاني ـ يناير ٢٠٠٢م حذَّر القس بات روبرتسون، في برنامجه التلفزيوني «نادي السبعمائة»، من تدخل الولايات المتحدة في النبوءات الدينية وانتزاع القدس من اليهود وإعطائها إلى ياسر عرفات.. فإذا استرجعت الولايات المتحدة القدس الشرقية وجعلتها عاصمة لدولة فلسطينية، فإن معنى ذلك أننا نسعى وراء غضب الله[2].

وذهب القس روبرتسون إلى أبعد من ذلك عندما وصف اغتيال إسحق رابين رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق، الذي وافق على اتفاق أوسلو مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، بأنه ـ أي الاغتيال ـ عمل من أعمال الله، وأنه حكم إلهي نُفِّذ فيه لخيانته شعبه. إن هذه الأرض هي أرض الله، وإن لله كلمات قوية تجاه من يقسِّم أرضه، لقد استحق رابين غضب الله عندما بدأ يقسم أرض الله[3].

---

(١) Clarence Wagner, Driving the Nations Crazy, Bridges For peace publication, P. 9.

(٢) Howard Mortman, Don't Ignore Pat Robertson, the Frontline, 7 Jan. 2002.

(٣) Pat Robertson, Pat Answers your question on Israel, 700 Club, C.B.N.

... وعلى الانتفاضة الفلسطينية

تلقي هذه الأفكار اللاهوتية للمسيحية الصهيونية الضوء على المواقف السياسية التي اتخذتها إدارة الرئيس بوش، والتي اتخذها الرئيس نفسه، من القضية الفلسطينية وانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد اجتياح الجيش الإسرائيلي للضفة الغربية وغزة، وارتكابه جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، ذلك أن تلك الجرائم، على بشاعتها، لم تكن لتحرِّك مشاعر إنسانية أو لتوقظ ضميراً معذباً، طالما أنه يُنظر إليها على أنها أعمال تُرتكب باسم الله ومن أجل تحقيق برنامجه في الأرض المقدسة.

إن في الولايات المتحدة، الدولة العلمانية (والتي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة) ١٤٠٠ محطة دينية، يعمل فيها ٨٠ ألف قسيس إنجيلي، أكثريتهم الساحقة من أتباع هذه المدرسة التي تعتبر إسرائيل تجلِّياً إلهياً وتجسيداً لنعمه من أجل خلاص بني البشر!!.

لذلك ما أن تواجه إسرائيل أزمةً أو مأزقاً، حتى يتحرك هذا الجيش الإعلامي ـ الديني عبر شبكة الكنائس ومحطات الإذاعة والتلفزيون، وسلسلة المطبوعات اليومية والأسبوعية التي تتولى إصدارها.

ينطلق التحرك من مقولة ثابتة من مقولات هذه الحركات الدينية، وهي أن القوانين الدولية الوضعية لا تُطبَّق على إسرائيل، لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية، وتالياً فإن ما يجب أن يُطبَّق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار.

تكوَّنت هذه الأدبيات الدينية، التي تجعل من اليهود المؤتَمنين على الخطة الإلهية التي يتحدد بمقتضاها مصير البشر جميعاً، والتي تجعل

من إقامة دولتهم المدخل الوحيد، الذي لا بدَّ منه، للعودة الثانية للمسيح وهي العودة التي تحسم مصير صراع الإيمان والكفر، والتي تنتهي بانتصار المسيح وسيادته على العالم مدة ألف عام، ومن ثم تقوم الساعة.

من خلال هذه الأدبيات أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تعبِّر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية.

في ضوء هذه الأدبيات الدينية، وفي ضوء هيمنة المؤسسات التي تعتنق هذه الخلفية وتروِّج لها، على القرار السياسي الأميركي، يمكن فهم خلفية الموقف الرسمي الأميركي المعارِض لمبدأ عودة الفلسطينيين إلى ديارهم، عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي ١٩٤، والذي يشجِّع، في الوقت نفسه، اليهود على الاستيطان في إسرائيل وفي بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة!!.

في السادس من شباط ـ فبراير ١٩٨٥م، ألقى بنيامين نتنياهو، وكان سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة، خطاباً في الجمعية العامة للمنظمة الدولية، قال فيه: «إن كتابات المسيحيين الصهيونيين، من الإنكليز والأميركان، أثَّرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورج وأرثر بلفور وودرو ويلسون، في مطلع هذا القرن. إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دوراً رئيساً في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية».

إن قرار الكونغرس بنقل مقرِّ السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس تمَّ بضغط من حركة الصهيونية المسيحية، وقرار الكونغرس بالموافقة على اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل تمَّ كذلك بضغط من هذه الحركة.

إن العداء الإسرائيلي للفلسطينيين شديد، ولكنَّ عداء الصهيونية المسيحية أشد، غير أن من حسن الحظ أن هذه الحركة ليست كل الولايات المتحدة، فهناك كنائس إنجيلية عديدة وكبيرة في الولايات المتحدة تتعاطف مع الشعب الفلسطيني، إلى جانب الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، ولكن العالم العربي مقصِّر في الاتصال بها والتعاون معها مما مكَّن اللوبي الإسرائيلي، بالتعاون مع الحركة الصهيونية المسيحية، من استباحة الساحة السياسية والهيمنة على القرار السياسي الأميركي، على الشكل الذي بدا واضحاً في عهد الرئيس جورج بوش، وخاصة بعد الحادي عشر من أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م.

الرئيس بوش ومصالح إسرائيل في الشرق الأوسط

في عام ١٨٠٠م كان عدد اليهود في الولايات المتحدة يبلغ ٢٠٠٠ شخص فقط، بينهم ٤٠٠ يعيشون في نيويورك.

أما الآن، فقد بلغ عددهم ٥ ملايين و ٨٠٠ ألفاً، وفي نيويورك وحدها يوجد مليون ونصف المليون يهودي.

لم يكن هذا التضخم في العدد نتيجة التوالد الطبيعي، بل كان نتيجة الهجرة وخاصة من روسيا وأوروبا الشرقية.

جرت أول محاولة لتدخل اليهود في السياسة الخارجية الأميركية في عام ١٨٤٠م. في ذلك الوقت اختفى في دمشق كاهن مسيحي، وتوافق اختفاؤه مع اتهام المسيحيين العرب لليهود باستخدام الدم المسيحي في صنع فطائر تعدُّ خصيصاً بمناسبة عيد الفصح اليهودي[١].

كان النفوذ اليهودي، في ذلك الوقت، أقوى في بريطانيا منه في الولايات المتحدة، ولذلك جاء الاحتجاج الأميركي على اتهام اليهود باستباحة دم المسيحيين استجابة لمساعٍ بريطانية وليس تحت ضغط يهود أميركا.

---

(١) نشرت التحقيقات في هذه الجريمة على شكل رواية بعنوان: «دم لفطير صهيون» نجيب الكيلاني، دار النفائس ـ بيروت.

ولكن بعد عام ١٨٨١م اتسعت الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة، فتأسست أول جمعية تُعنى بالمهاجرين، وكانت تلك البذرة الأولى في قيام الجمعيات اليهودية التي تطورت اليوم لتصبح قوة مؤثرة بشكل مباشر في صناعة القرار السياسي الأميركي.

ففي عام ١٨٩١م تدخَّل الرئيس بنجامين هاريسون مع القيصر الروسي لحثِّه على التوقف عن إساءة معاملة اليهود. لم يكن ذلك حباً بهم بالضرورة، ولكنه كان تعبيراً عن تضايقه وقلقه من اتساع هجرتهم إلى بلاده. ولكن في عام ١٩٣٣م كان تدخل الرئيس ثيودور روزفلت مع حكومة رومانيا لوقف سوء معاملة اليهود ينطلق من استجابة مباشرة لطلب يهود أميركا، حتى أنه اشتهر عن أحد القضاة اليهود، جوان غولدشتاين، قوله: «إن لليهود عوالم ثلاثة.. عالم الدنيا، وعالم الآخرة وروزفلت». وفي الواقع فإن ١٥ بالمئة من عناصر إدارة الرئيس روزفلت كانوا من اليهود، في الوقت الذي كان اليهود يشكلون أقل من ٣ بالمئة فقط من السكان، وكانت قد تشكلت في عام ١٩٠٦م «لجنة اليهود الأميركيين» لمساعدة اليهود على الدخول إلى مواقع السلطة، وكان أول تعبير عن نجاحها في ذلك هو حمل الرئيس تافت، في عام ١٩١٢م، على إلغاء معاهدة تجارية مع روسيا وُقِّعت بين البلدين في عام ١٨٣٢م (وظلَّت سارية المفعول طوال تلك المدة)، وذلك احتجاجاً على سوء معاملة روسيا لليهود.

قبل قيام الحركة الصهيونية اليهودية، في بازل بسويسرا على يد تيودور هرتزل، كان همُّ يهود أميركا مساعدة المهاجرين من أبناء جلدتهم، وتحصين مواقعهم في المجتمع الأميركي، وممارسة الضغوط على حكومات روسيا وأوروبا الشرقية لوضع حدٍّ لممارسات العنصرية التي يتعرَّض لها اليهود هناك، ولذلك اعتمد اليهود مصطلحات تقول

بأن أميركا هي فلسطين الجديدة، وأن مدينة سينسناتي (في أوهايو) هي القدس الجديدة، وعندما حاولت الكنيسة المشيخية الأميركية جمع التواقيع على عريضة تدعو لتسهيل هجرة اليهود الأميركيين إلى فلسطين، رفض زعيم الحركة اليهودية الأميركية، الحاخام إسحق وايز، التوقيع، منددأ بالمبادرة باعتبار أنها تهدف إلى تهجير اليهود من أميركا وليس إلى مساعدتهم على إقامة وطن لهم في فلسطين.

ولكن هرتزل استطاع أن يقنع حاخاماً آخر، يدعى ستيفن رايز، باعتناق دعوته الصهيونية، فأسس هذا الحاخام الاتحاد الصهيوني الأميركي عام ١٨٩٧م، وانضم إلى هذا الاتحاد في عام ١٩١٣م محامٍ يهودي يدعى لويس براندیز (أصبح وزيراً للعدل فيما بعد)، وقد وقف الإثنان، رايز وبراندیز، إلى جانب ودرو ولسون في معركته الانتخابية، ومن ثم دخلا من خلاله إلى قلب القرار الأميركي، وكانت أول ترجمة لذلك إقناع ولسون بتبنِّي وعد بلفور في عام ١٩١٧م، وهو الوعد الذي نصَّ على منح بريطانيا اليهود وطناً قومياً في فلسطين.

كانت بريطانيا في حالة حرب مع ألمانيا، وكانت تريد من هذا الوعد توظيف الحضور اليهودي في أميركا وروسيا ضد ألمانيا، وهو ما كانت ألمانيا تسعى إليه في الوقت نفسه أيضاً. قُدِّم الوعد البريطاني للحركة الصهيونية رشوة على حساب الشعب الفلسطيني، الذي كان خاضعاً للاحتلال البريطاني، ولم يكن باستطاعة ألمانيا منافستها أو مجاراتها في ذلك. ربحت بريطانيا الرهان على اليهود في توفير التأييد الأميركي والروسي لها ضد ألمانيا، فكان الرد الألماني تصعيداً في مشاعر الكراهية ضد اليهود مما مهد لقيام الحركة النازية على يد أدولف هتلر.

لقد أعطت بريطانيا مما لا تملك إلى من لا يستحق، ودفعت ألمانيا (باضطهادها لليهود) بالمهاجرين إلى أرض فلسطين. وعملت الولايات

المتحدة، التي بات قرارها السياسي مرتبطاً بالحركة الصهيونية المسيحية، على تحويل فلسطين إلى إسرائيل والوطن العربي إلى شرق أوسط. وبعد الحرب على العراق، وتحت مظلة الحرب على الإرهاب رداً على عملية ١١ أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م، فإن المستقبل يبدو متّشحاً بمزيد من السواد.

يذكر المعلّق السياسي الأميركي نيقولاس كريستوف، في مقالة له نشرتها صحيفة هيرالد تريبيون الأميركية، أن «اليمين الديني الإنجيلي يلعب دوراً مؤثراً في عملية اتخاذ القرار السياسي للرئيس جورج بوش، وأن قرار الرئيس بالحرب على العراق يعكس إلى حدٍّ بعيد، مدى هذا التأثير، وبالتالي فإن للحرب على العراق بُعداً دينياً واضحاً»[١].

تطرح هذه الملاحظة قضية على درجة كبيرة من الأهمية. فالاعتقاد الذي كان سائداً قبل الحرب هو أن وراء القرار الأميركي بالحرب على العراق رغبة في تجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل، وأن وراءه أيضاً مصالح نفطية أميركية، كما أن وراءه اندفاعاً أميركياً للهيمنة على مقدرات العالم، وبالتالي محاولة واضحة لأمركة العولمة.

كذلك، هناك اعتقاد قوي بأنه كانت وراء القرار مصلحة إسرائيلية مباشرة بتحقيق المشروع الصهيوني بتقسيم المنطقة العربية إلى دويلات طائفية ومذهبية، مما يؤمِّن لإسرائيل أمناً استراتيجياً على المدى البعيد.

ولكن من الواضح أن ثمَّة أهدافاً تتجاوز ذلك كله ـ من دون أن تتناقض معه ـ وأن هذه الأهداف تتعلق بالاعتقاد الديني للرئيس الأميركي من خلال تأثُّره بالصهيونية المسيحية المتطرفة.

وقبل يومين من صدور مقالة كريستوف في الهيرالد تريبيون،

---

(١) Nicolas Kristoff, Herald Tribune, 5 - 3 - 2003.

وتحديداً في الثالث من آذار ـ مارس، قال السيناتور الأميركي جيم موران: «إن الحرب التي تخيِّم على العراق هي نسيج أيدي اليهود الأميركيين، وأنه لولا دعم المجموعة اليهودية القوي لهذه الحرب لكنا تصرَّفنا بشكل مختلف»[1].

في ذلك الوقت كانت الحرب مجرد شبح يثير القلق والمخاوف، أما الآن، وبعد أن أصبحت حقيقة واقعة فإن موران ممنوع من الكلام، ذلك أن المجموعة الصهيونية، التي دفعت الولايات المتحدة إلى الحرب، مارست كل ما لديها من نفوذ للتشهير بالسيناتور الكاثوليكي، لحمله على الاستقالة من عضوية الكونغرس.

لقد اضطر موران إلى الاعتذار، مثنى وثلاث ورباع، ولكن حملة التشهير لم تتوقف. فقد اتُّهم كما هو متوقع باللاسامية، وأُدرجت تصريحاته في إطار التحريض على التمييز العنصري ـ الديني، الأمر الذي يتناقض مع نصٍّ الدستور الأميركي.

وبمثل هذه التهمة اضطر عضو آخر من الكونغرس، هو «ترينت لوت» ممثل ولاية مسيسيبي إلى الاستقالة من الكونغرس في شهر ديسمبر ـ كانون الأول من عام ٢٠٠٢م، مع ذلك فإن تصريحات موران انتشرت في المجتمع الأميركي انتشار النار في الهشيم. وما إن تسلَّطت الأضواء على العناصر الصهيونية في إدارة الرئيس جورج بوش، حتى اكتشف الرأي العام الأميركي أن المفاتيح الرئيسة في هذه الإدارة تمسك بها هذه العناصر، ومنها بول وولفويتز نائب وزير الدفاع، وريتشارد بيرل رئيس القسم السياسي في الوزارة.

وكان ريتشارد بيرل أحد الثلاثة الذين عملوا كمستشارين لبنجامين

---

(١) The Economist - April, 2003.

نتنياهو عندما كان رئيساً للحكومة الإسرائيلية، وأعدُّوا له، في عام ١٩٩٦م، التقرير الاستراتيجي الذي دعوا فيه إلى وجوب إزالة صدام حسين من خلال شنِّ حرب على العراق[1].

أما العنصران الآخران فهما دوغلاس فاث ودافيد وورمسر، اللذان احتلا موقعين قياديين في إدارة الرئيس بوش أيضاً.

لم تعُدْ هذه الحقائق مجهولة من الرأي العام الأميركي، بفضل شجاعة شخصيات أمثال السيناتور موران والسيناتور بات بوكانن المرشح السابق للرئاسة الأميركية، والذي أكَّد أن حرب الخليج في عام ١٩٩٠م وقعت أيضاً بتحريض من وزارة الدفاع الإسرائيلية ومن المجموعة اليهودية في الولايات المتحدة!!.

كذلك فإن الدكتورة شيري وليامس (زوجة الكاتب الأميركي الشهير ريتشارد نيوستاد) والأستاذة في جامعة هارفرد تقول: «إن الحرب على العراق أطلقها الأصوليون المسيحيون والأصوليون اليهود في الولايات المتحدة».

تعيد هذه الحقائق بعض وقائع التاريخ الحديث. ففي عام ١٩٣٠م اتهم تشارلز ليندبرغ (أول طيار أميركي اجتاح المحيط الأطلسي منفرداً) اليهود الأميركيين بجرِّ الولايات المتحدة إلى حرب عبثية مع ألمانيا من أجل مصالحهم الذاتية فقط.

ما أشبه اليوم بالبارحة: «اليهود يأكلون الحصرم والأميركيون يضرسون»!!.

من هنا السؤال: ما هي مكاسب إسرائيل من الحرب الأميركية على

---

(١) جريدة النهار ـ ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٣م. نصٌّ مترجم للتقرير الذي أعدَّته مؤسسة «الدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة الأميركية».

العراق؟. إن الأسباب الموجبة للحرب، كما قدمتها إدارة الرئيس جورج بوش، كانت تتمحور حول نزع أسلحة الدمار الشامل من أيدي نظام تتهمه هذه الإدارة بالتعاون مع بن لادن ومع تنظيم القاعدة، ولو أن الرأي العام الأميركي كان يصدق هذه التهمة لاتخذ بالتأكيد موقفاً حماسياً مؤيداً للحرب، غير أن مدينة نيويورك نفسها شهدت مسيرة شعبية كبرى مناوئة للرئيس بوش ولسياسته الحربية، وهي المدينة التي دفعت الثمن الأكبر من جراء تعرُّضها لجريمة الحادي عشر من أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م.

كذلك فإن الأسباب الموجبة للحرب، كما قدمها رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير، استندت أساساً إلى الادعاء بأن ما يملكه العراق من أسلحة دمار شامل يهدد سلامة دول العالم الحر كلها، بما فيها بريطانيا نفسها، ولكن المسيرات الشعبية التي شهدتها مدينة لندن، وبأعداد لا سابق لها في تاريخ هذه المدينة، تعني عدم تصديق هذه الاتهامات.

فإذا كان الرأي العام الأميركي والبريطاني بأكثريته ضد الحرب قبل نشوبها، وإذا كانت المجالس الكنسية الأميركية والبريطانية تندد بالحرب وتعتبرها ضد التعاليم المسيحية والأخلاق الإنسانية، قبل وبعد نشوبها، فمن حرَّض عليها، ومن وقف وراءها؟

تعتقد إسرائيل أن الحرب على العراق تكرِّس أولاً مقولتها بأن التوتر في الشرق الأوسط يعود إلى خلافات وصراعات عربية ـ عربية، وليس إلى الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وهي تأمل الآن أن تؤدي هذه الحرب إلى فرض أمر واقع جديد في المنطقة بحيث تكون آخر حروب الشرق الأوسط. وفي اعتقاد إسرائيل أيضاً أنها سوف تنعم بالسلام والاستقرار، ليس بسبب كسر شوكة العراق العسكرية فقط، إنما بسبب الوضع

السياسي الذي سوف يترتب على ضرب وحدة العراق الوطنية، وإدخال شعوب المنطقة في حروب لا نهاية لها من التصفيات والانتقامات، على قاعدة التباينات الطائفية والمذهبية والعنصرية، وبذلك تكون إسرائيل قد استخدمت الأيدي الأميركية ـ والبريطانية كذلك ـ من أجل نزع كل الأشواك التي تمكّنها من ابتلاع ثمرة «الصبير» الشرق أوسطية باطمئنان.

ولكن لا توجد حرب تنهي كل الحروب، بل إن في تسوية كل حرب بذوراً لحرب جديدة، والحرب التي شنَّتها الولايات المتحدة على العراق هي من النوع الذي يفتح الباب أمام سلسلة متداخلة من الحروب. لقد ربحت الولايات المتحدة الحرب عسكرياً، لأنها الحرب الوحيدة في التاريخ التي نشبت بين قوتين لا مجال على الإطلاق للمقارنة بين قدراتهما العسكرية، ولكن الانتصار العسكري لا يعني انتصاراً سياسياً، فالولايات المتحدة بدأت تنزف سياسياً ومعنوياً منذ أن أعلنت قرار الحرب، رغم معارضة الأمم المتحدة لها ورغم المعارضات الشعبية داخل الولايات المتحدة وخارجها، فقد تحوَّلت من قلعة للحرية والديمقراطية إلى دولة استعمارية على غرار دول القرن التاسع عشر التي عفا عليها الزمن، وأصبح اسمها مرادفاً لأسوأ ما في ذاكرة شعوب العالم عن الاستعمار وعن الغطرسة السياسية وعن أهوال الحروب.

أما العالم الإسلامي المغلوب على أمره، فقد وجد نفسه بين مطرقة بوش وسندان بن لادن، بمنطقيْهما المتكامليْن والمتوازييْن. الأول يتكلم بلغة «هرمجيدونية» إلغائية لكل من لا يقف إلى جانبه ضد ما يسمِّيه بمحور الشرِّ، ويتكلم الثاني بلغة «جهادية» إلغائية لكل من لا يقف إلى جانبه ضد ما يسمِّيه محور الكفر، حتى ليبدو وكأن كلًّا من بوش وبن لادن يستمد قوة منطقه من الآخر!!.

في مطلع شهر مارس ـ آذار ٢٠٠٣م، نشرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية تصريحاً لوزير السياحة الإسرائيلي بنلي ألون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام في طريقه إلى الزوال... فما نشاهده اليوم في العالم الإسلامي ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذوة الإسلام، أما كيف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام في غضون بضع سنوات، ستكون الحدث الأهم في هذه الألفية، وطبعاً سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى في الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكاً للمستقبل البعيد»[١].

وفي مطلع الشهر التالي، أبريل ـ نيسان تجمَّعت أمام الحدود الأردنية ـ العراقية، وأمام الحدود الكويتية ـ العراقية، مجموعات من «المبشرين المسيحانيين»، التابعين للحركة الصهيونية المسيحية مزوَّدين بمساعدات إنسانية غذائية وطبية، مع كميات كبيرة من الكتب والمنشورات الدينية التبشيرية. وتنضوي هذه المجموعات تحت لواء مؤسسة يترأسها فرانكلين غراهام نفسه تُدعى Samaritan's Purse أي «الجيب السامري» وهو اسم ديني يشير إلى الشهود الأوائل على ظهور المسيح. ولا يقتصر أعضاؤها على الأميركيين وحدهم، ولكنها تضمُّ «مؤمنين» من جنسيات أوروبية مختلفة، وخاصة من النرويج وهولندا وبريطانيا.

وإذا كانت مهمة القوات العسكرية الأميركية هي البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وتدميرها، فإن هؤلاء المبشرين يؤمنون بأن سلاح الدمار الشامل في العراق، الذي يجب تدميره، هو الإسلام الذي

---

(١) ما هو الهدف الحقيقي لأعمال العنف في الرياض ـ باتريك سيل، جريدة الحياة ١٦/ ٥/ ٢٠٠٣م.

يتهمونه بأنه مصدر الفكر الإرهابي، والحافز على ارتكاب العمليات الإرهابية، كالتي جرت في الولايات المتحدة (نيويورك وواشنطن) وفي إسرائيل (العمليات الاستشهادية).

فالقس غراهام هو الذي قال عن المسلمين في الولايات المتحدة بأنهم «أياً تكن أصولهم فإنهم أعداء للديموقراطية والليبرالية ولطريقة عيشنا»...، وعندما احتج المسلمون الأميركيون على هذه الأقوال لأنها تحرِّض الأميركيين الآخرين عليهم، ردَّ غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمَّروا برجي مركز التجارة الدولي في نيويورك لم يكونوا من اللوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين.. ولذلك فإن وجودهم يشكل خطراً على المجتمع الأميركي».

وكانت فرق من المبشرين قد اجتازت منذ سنوات الحدود التركية ـ العراقية في الشمال، وتمكَّنت من التغلغل في المجتمعات القبلية العربية والكردية مستثمرة الحاجات الإنسانية للناس هناك من أجل الترويج لعقيدتهم الدينية.

لقد سبق للدول وللجمعيات الخيرية في العالم أن وافقت على تقديم مساعداتها للشعب العراقي المنكوب عبر المؤسسات الدولية المعترف بها، كالصليب الأحمر والهلال الأحمر واليونيسيف، وشذت عن هذه القاعدة جمعية «سامارتن بيرس» وحدها، ذلك لأن المساعدة الإنسانية ليست هدفاً في حدِّ ذاته بالنسبة إليها، ولكنها مجرد وسيلة لتحقيق هدف تبشيري يؤهل العراقيين للديمقراطية والليبرالية!!.. ومن حسن الحظ أن مجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي يضمُّ الكنائس العربية جميعها، اتخذ مبادرة تعبِّر عن وعيه لخطورة الانجرار وراء هذا التيار التبشيري، وبالتالي عن رفضه لها، فعمد إلى توزيع المساعدات التي جمعها من العالم على المسلمين والمسيحيين العراقيين معاً، كما عمد

إلى حذف عبارة «باسم المسيح» كانت مخطوطة على صناديق المساعدات منعاً لسوء التأويل ودرءاً للفتنة. وبالقدر الذي تبعث فيه هذه الإجراءات على الاطمئنان والارتياح، فإن مبادرة «سامارتن بيرس» تثير القلق الشديد من خطورة تداعياتها السلبية ليس داخل المجتمع العراقي وحده، بل في العالم العربي كله.

ليست هذه هي المرة الأولى التي تقتحم فيها جماعات الأصولية الإنجيلية الأميركية مجتمعات إسلامية حاملة إليها «المساعدات التبشيرية»، فقد شهدت البوسنة والهرسك وكوسوفو في البلقان، كما شهدت الشيشان في القوقاز، وقبل ذلك شهدت الدول الإسلامية الخمس في آسيا الوسطى اقتحامات من هذا النوع، حتى روسيا نفسها كانت هدفاً مباشراً لهذه الجماعات بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية تصدَّت لها بضراوة، واستطاعت أن تستصدر من الدوما ـ مجلس النواب ـ قانوناً يحظر على الجماعات التبشيرية الإنجيلية (وكذلك الكاثوليكية) ممارسة أي نشاط تبشيري في المجتمع الروسي، ومنذ ذلك الوقت أدرجت الولايات المتحدة اسم روسيا على لائحة الدول المتهمة بممارسة التمييز الديني وبفرض قيود على الحرية الدينية!!

لقد حققت الجماعات التبشيرية «مكاسب» في الدول الإسلامية التي اجتاحتها في آسيا الوسطى والقوقاز والبلقان، وهناك جماعات منها تجوب الآن المناطق الشمالية والشمالية الغربية من أفغانستان حيث حققت اختراقات دينية في هذه المجتمعات المعدمة والشديدة التخلُّف.

يؤكد تاريخ الحركات التبشيرية الإنجيلية في الشرق الأوسط أن هذه الحركات لم تحقق نجاحاً يُذكر بين المسلمين العرب، إلا أنها نجحت

بين المسيحيين منهم، وخاصة بين الأقباط في مصر وبين السريان والأرثوذكس وحتى الكاثوليك في الدول العربية الأخرى، وخاصة في سورية ولبنان وفلسطين، فهل يجدد التاريخ نفسه هذه المرة أيضاً، وتسقط بين براثن هذه الحركة أعداد من المليون مسيحي عراقي؟!.. علماً بأن المبشِّرين الجدد ليسوا إنجيليين مسيحيين، ولكنهم ينتمون إلى الحركة الصهيونية المسيحانية، فالمسيحية والإنجيلية من هذ الحركة براء.

الصورة الجديدة للولايات المتحدة

لم تكن صورة الأميركي في التاريخ بمثل بشاعة الصورة التي صنعتها إدارة الرئيس بوش، وفي ذلك ظلم للإنسان الأميركي الذي عبَّر عن حقيقة مشاعره وقناعاته من خلال المسيرات ضد الحرب، ومن خلال بيانات المجالس الكنسية الأميركية التي اعتبرت الحرب خروجاً على تعاليم المسيح وانتهاكاً لقيمها.

لقد فتح الرئيس بوش النار ليس على العراق وحده، ولا على المشرق العربي وحده، ولكنه فتح النار على سمعة الولايات المتحدة وعلى هيبتها في العالم كله، حتى إن كل أميركي أصبح هدفاً مع وقف التنفيذ.. بعد أن كان قدوة ومثالاً!!. فمن سيحاسب القوى غير الخفية التي استدرجت الرئيس بوش وإدارته لارتكاب هذه الجريمة بحقٍّ العراق، وبحق الولايات المتحدة نفسها، وكذلك بحق الإنسانية كلها؟

يستطيع الرئيس بوش، بما يملكه من آلة عسكرية طاغية، ومن إمكانات مادية غير محدودة أن يغيِّر العالم، ولكن التغيير عندما يعتمد الغطرسة وسيلة، والهيمنة هدفاً، سيكون نحو الأسوأ، ويتمثل هذا الأسوأ في المظالم التي تزرعها الحرب في الذاكرة الجماعية لإنسان القرن الواحد والعشرين، فالظلم سيتحوَّل إلى كراهية، والكراهية إلى إرهاب يدفع العالم كله ثمنه غالياً.

لقد أغرى الفريق اليهودي في الإدارة الأميركية الرئيس جورج بوش بمكاسب فتح «صندوق باندورا» في الشرق الأوسط، ولكنه سوف يكتشف أنه لن يتمكن من إعادة إغلاقه قبل أن يفرِّغ هذا الصندوق كل ما فيه من عجائب المفاجآت التي يزخر بها.

عام ١٩٥٦م، استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ـ النقض ـ في مجلس الأمن الدولي ضد فرنسا، التي كانت تقود مع بريطانيا وإسرائيل العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قناة السويس، وعشية الحرب الأميركية على العراق أبدت فرنسا استعدادها لاستخدام حق النقض في مجلس الأمن ضد المشروع الأميركي البريطاني بشنِّ الحرب على العراق.

الفروقات بين الأمرين كثيرة. في عام ١٩٥٦م كان على رأس الولايات المتحدة الجنرال أيزنهاور، وهو واحد من الرؤساء الأميركيين القليلين الذين لم يستسلموا للوبي الصهيوني ولا لليمين الديني الإنجيلي المتصهين.

وفي ذلك العام أيضاً كان الشرق الأوسط (وليس مصر وحدها)، واقعاً في قبضة بريطانيا وفرنسا، وكانت الولايات المتحدة تتلمَّس طريقها إلى المنطقة وفيها، بصعوبة، نظراً لتضارب مصالحها النفطية والتجارية مع المصالح الفرنسية ـ البريطانية.

وفي ذلك الوقت أيضاً كان الاتحاد السوفياتي يسعى جاهداً لشقِّ طريقه إلى المياه الدافئة، وكان يستثمر بنجاح العثرات التي تقع فيها فرنسا وبريطانيا، والأخطاء التي كانت ترتكبها كل منهما، الأمر الذي كانت الولايات المتحدة تعتبره خطراً على مستقبل مصالحها، ليس في الشرق الأوسط وحده، إنما في العالم كله، وكان همُّ الإدارة الأميركية،

في ذلك الوقت، عدم تمكين موسكو من وراثة لندن وباريس، وبالتالي منع تحوُّل الشرق الأوسط إلى حديقتها الخلفية على حدٍّ قول الرئيس أيزنهاور نفسه.

ولعل من أبرز وأهم الفروقات التي كانت قائمة في ذلك الوقت هو أن الولايات المتحدة كانت في عام ١٩٥٦م دولة كبرى، أما في عام ٢٠٠٣م فإنها بدأت تتصرَّف وكأنها أمبراطورية.

عندما كانت الولايات المتحدة في عام ١٩٥٦م دولة، كانت لا تزال تحترم أو، على الأقل، تراعي، ولو شكلاً، احترام مبادىء الرئيس الأميركي ولسون الأربعة عشر، التي أعلنها في مؤتمر الصلح في فرساي ١٩١٩م عن حقِّ الشعوب في تقرير مصيرها، ولكن عندما أصبحت أمبراطورية أسقطت معادلة حقوق الشعوب، وتجاوزت النظام الدولي، وقرَّرت إعادة تركيب العالم بدءاً من الشرق الأوسط بما يتناسب مع مصالحها.

عزَّز هذا التغيير الجوهري الانتصار الأميركي الساحق في الحرب الباردة، حيث سقط الاتحاد السوفياتي وتمزَّق إلى عدة دول، ثم تحوَّل من قوة دولية كبرى منافسة إلى دولة تحتاج إلى المساعدات المالية والاقتصادية، رغم امتلاكه ترسانة نووية وصاروخية كبيرة.

في شهر آب ـ أغسطس ٢٠٠١م، أي قبيل وقوع أحداث ١١ أيلول ـ سبتمبر، كان وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد منكبَّاً على مطالعة دراسة مفصلة أعدَّتها، بناءً لطلبه، مجموعة من الخبراء والباحثين حول الأمبراطوريات التاريخية الكبرى، وحول كيفية الإفادة من ظاهرة صعود وهبوط تلك الأمبراطوريات لحماية الأمبراطورية الأميركية الجديدة.

كانت الأسئلة، التي تمحورت حولها الدراسة، هي: كيف استطاع أباطرة، مثل جنكيز خان ويوليوس قيصر والإسكندر المقدوني الكبير،

أن يقيموا أمبراطوريات لا تغيب عنها الشمس؟ وكيف انتشرت وازدهرت وسادت خارج أوطانها، ثم لماذا تهاوت وذبلت ثم ماتت؟

استناداً إلى ما ذكرته الكاتبة الأميركية دانا برست، في كتابها «ذي ميشن» أي «البعثة»، لم تكن لدى الوزير رامسفيلد أي رؤية، أو أي تصور حول الصيغة التي يجب أن يكون عليها العالم عندما طلب إعداد هذه الدراسة.

ولكن بعد أحداث سبتمبر ـ أيلول بدا أن الدراسة عن الأمبراطوريات الغابرة لم تعد موضع اهتمام البنتاغون، كما يذكر المؤلف البريطاني نيال فيرغيسون في كتابه الجديد «الأمبراطورية»، إلا أن من الواضح أن الخطاب السياسي للرئيس الأميركي جورج بوش في مرحلة ما بعد سبتمبر، يستحضر الخطاب السياسي للأمبراطور المغولي هولاكو.

إن قراءة المفردات المستعملة في خطب وتصريحات الرئيس بوش حول قوة أميركا العسكرية، وحول التهديدات الموجهة إلى الرئيس العراقي صدام حسين تشبه، إلى حد بعيد، المفردات التي استعملها هولاكو في القرن الثالث عشر في رسالة الإنذار التي وجَّهها إلى الملك قطز، ملك مصر في عهد المماليك. في تلك الرسالة قال هولاكو:

«إنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلَّطنا على من حلَّ به غضبه، فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، وتندموا على الأخطاء. فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرقُّ لمن اشتكى، وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد، وطهَّرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد. فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب، فأي أرض تأويكم؟ وأي طريق ينجيكم؟ وأي بلاد تحميكم؟ فما من سيوفنا خلاص، وما من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وأعدادنا

كالرمال، فالحصون معنا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع..»[1].

لقد تمكَّن اليمين الديني الإنجيلي، المتمثل بالحركة الصهيونية المسيحية والمهيمن على القرار السياسي الأميركي من إقناع الرئيس بوش الابن بأن للولايات الأميركية مهمة تجعل من قواتها «جند الله في أرضه»، وإن أول خطوة، في هذا السبيل، هي إزالة «الدول المارقة» المتهمة بإيواء الإرهابيين الإسلاميين أو مساعدتهم، وعلى رأس هذه الدول العراق، كما يدَّعي بول وولفويتز نائب وزير الدفاع، وريتشارد بيرل مستشاره السياسي.

من الطبيعي أن تؤدي هذه السياسة الاستعدائية، التي تقوم على قاعدة العقاب الجماعي، إلى توسيع دائرة الكراهية وتعميق مشاعر الحقد. حدث ذلك في الأمبراطوريات السابقة كما يحدث في أمبراطورية اليوم. فالرئيس بوش يتساءل: لماذا يكرهوننا؟... وقد تعلَّم الآن الإجابة من الأمبراطور الروماني كاليغوليا صاحب القول ـ غير المأثور ـ: «هاس أودرينت دوم قوانت»، ومعناها: «ليكرهوننا بقدر ما يخافوننا».

قبل ١١ سبتمبر، كانت القضايا المطروحة أمام وزارة الدفاع الأميركية هي كيف يمكن تصفية القواعد العسكرية وسحب القوات الأميركية المنتشرة في العالم، وخاصة في أوروبا وآسيا من دون التأثير على تطلعات واشنطن الأمبراطورية؟ وقد اتُّخذ قرار الحرب على العراق، في هذه المرحلة أيضاً، كما يذكر الكاتب والصحفي الأميركي المعروف بوب وودورد في كتابه الموثق «حرب بوش»[2]، وقد جاء إعداد

---

(١) التاريخ الإسلامي..

(٢) Bob Woodward, Bush at war, Simon & Schuster, New-York, 2002.

الدراسة عن الأمبراطوريات التاريخية في إطار هذا الاهتمام، ولكن بعد ١١ سبتمبر تبدَّلت الرؤية، وتغيَّرت تبعاً لذلك المعادلة وتغيَّر معها الأسلوب.

إن إعادة تركيب العالم ـ وليس الشرق الأوسط وحده ـ يتطلب بالضرورة تفكيكه كشرط لازم لإعادة تركيبه بما يتوافق مع المصالح الأميركية، وتعكس ذلك جلسات مجلس الأمن الدولي، كما تعكسها لقاءات الوزيرين رامسفيلد وباول مع نظرائهما في دول الأطلسي، فمصالح الولايات المتحدة فوق كل اعتبار، ويمكن اختصار هذه المصالح في كلمة واحدة هي أن تكون الولايات المتحدة الأمبراطورية العالمية الجديدة!!.

ليس الرئيس جورج بوش الابن أول مشروع أمبراطور أميركي، وليس وزير خارجيته دونالد رامسفيلد أول مخطط لأمبراطورية أميركية.

ففي عهد الرئيس الأسبق روزفلت جرت المحاولة الأولى، أو تكشَّفت النوايا الأولى لإقامة الأمبراطورية، وكان المنظِّر الأول لها هو الأدميرال ماهان الذي دعا، في عام ١٨٩٤م إلى احتلال هاواي والفلبين وضمِّهم إلى الولايات المتحدة. وكان، يفلسف مشروع الضمِّ الاحتلالي على أساس أن الأمة الأميركية أمة رائدة، وأن انتشارها عبر الباسيفيكي والأطلسي معاً يتعدى موضوع المصالح الاقتصادية والمادية، ويرقى إلى مستوى الرسالة، وهذا ما يقول به اليوم الثنائي بوش ـ رامسفيلد أيضاً.

لقد كان من مقتضيات التوسع الأمبراطوري، في ذلك الوقت، شقُّ قناة بناما ليس لتسهيل الحركة الأميركية بين الأطلسي والباسيفيكي إقتصادياً فقط، إنما لتسهيلها عسكرياً وبالتالي سياسياً.

ويمكن مقارنة شق القناة في ذلك الوقت، بالسيطرة على نفط العراق

والشرق الأوسط اليوم، ذلك أنه، من خلال هذه السيطرة، تفرض الولايات المتحدة هيمنتها الدولية وتمسك بالاقتصاد العالمي من العنق!!.

لقد كان الأدميرال ماهان (توفي في عام ١٩١٤م) من كبار الداعين إلى إسقاط مبدأ مونرو الذي يقول باعتزال الولايات المتحدة العالم، وبعدم التدخل بالأحداث وبالصراعات الدولية.

وكان من نتيجة ذلك دخول الولايات المتحدة في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومن ثم عدة حروب إقليمية أخرى كان أكبرها في كوريا وفي فيتنام.

إن ما جرى بعد الحرب على العراق واحتلال مدنه كافة، بما فيها العاصمة بغداد، التي تعرَّضت للنهب والسلب ولتدمير المتحف الوطني وإحراق المكتبة الوطنية ومكتبة الأوقاف الإسلامية الغنية بالوثائق التاريخية، قد جعل العالم العربي، بل والعالم كله، يترحَّم على مبدأ مونرو، ويتمنى لو أن الولايات المتحدة لا تزال تلتزم به.

للشاعر البريطاني الشهير روديارد كيبلنغ قصيدة عنوانها: «الدرس الذي لا ينتهي» تتمحور حول موضوع اعتداد بريطانيا بنفسها عندما كانت أمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، ويبدو أن الدرس لم ينتهِ إلا بعد أن أصبحت دولة تابعة ـ للولايات المتحدة ـ لا تكاد الشمس تشرق عليها!..

ولأن الدول لا تتعلم من أخطاء، ومن تجارب بعضها، فإن الولايات المتحدة تؤدي هي أيضا: «الدرس الذي لا ينتهي». ففي عام ١٨٩٨م، سحقت القوات البريطانية الثورة المهدية في السودان من دون أن تتكبد خسائر تذكر، إلا أنها سرعان ما وجدت نفسها بعد ثلاث سنوات فقط غارقة في وحول «حرب البوير» في إفريقيا الجنوبية حيث فقدت في المعارك حوالي ثلاثمائة ألف جندي.

الكاتب الأميركي بول كندي ـ أستاذ التاريخ في جامعة يال ـ أبدى، في مقالة له، تخوُّفه من أن يكون الاجتياح الأميركي لأفغانستان مشابهاً للاجتياح البريطاني للسودان قبل أكثر من مائة عام.

ومن يدري، فقد يكون الاعتداد الأميركي بالنفس والذي تجرُّ الولايات المتحدة به العالم إلى حرب جديدة ـ تبدأ في العراق ولا يدري أحد متى وأين وكيف تنتهي ـ مدخلاً إلى «حرب بوير» جديدة.

إن مقومات الاعتداد بالنفس متوفرة بكثافة لدى الولايات المتحدة. فرغم أن عدد سكانها يقلُّ عن خمسة بالمئة فقط من سكان العالم، فإنها تنتج ثلاثين بالمئة من الإنتاج العالمي، وتنفق على التسلُّح أربعين بالمئة، مما ينفقه العالم كله، وإذا استمر هذا الإنفاق على هذه الوتيرة سنوات قليلة أخرى، فسوف ترتفع النسبة بحيث تعادل كل ما تنفقه دول العالم مجتمعة.

إن الدخل القومي الأميركي يصل إلى تسعة آلاف مليار دولار في السنة، وبالمقارنة مع الصين مثلاً، التي يزيد عدد سكانها على المليار، فإن دخلها القومي لا يزيد على ١,٥ ألف مليار دولار في السنة.

مع ذلك فإن الولايات المتحدة كانت، حتى السنوات القليلة الماضية، تجري ٤٥ بالمئة من عمليات الأنترنت، أما الآن فقد هبطت هذه النسبة إلى ٢٩ بالمئة فقط، فيما ارتفعت النسبة في آسيا إلى ٣١ بالمئة.

ويعتبر هذا المؤشر دليلاً على الصورة التي يمكن أن تصل إليها الولايات المتحدة من خلال ممارسة «الدرس الذي لا ينتهي»!!.. ذلك أنه إذا واصلت الصين نموَّها بالنسبة الحالية فلا بدَّ أن تصل إلى مستوى كوريا الجنوبية، مما سيرفع دخلها القومي إلى عشرة آلاف مليار دولار؛ أما إذا وصلت الصين إلى مستوى اليابان، وهذا أمر ليس مستحيلاً، فإن

دخلها القومي سيرتفع إلى أربعين ألف مليار دولار، أي أكثر بعشر مرات من الدخل الأميركي اليوم.

ليس مستغرباً أن يغيب هذا الدرس عن الإدارة الأميركية المنشغلة بلعبة الحرب من موقع القوة العسكرية الأكبر في تاريخ الإنسانية، تماماً كما حدث مع بريطانيا في العهد الفكتوري، حيث أعمت ساستها غطرسة القوة التي كانت تتمتع بها.

مع ذلك فإن في الولايات المتحدة عقلاء كثيرين من المفكرين والأدباء والشعراء الذين يرون الآن ما رآه الشاعر البريطاني كيبلنغ قبل مائة عام، محذرين من «الدرس الذي لا ينتهي».

ولكن كيبلنغ الأميركي لا يختلف عن كيبلنغ البريطاني من حيث أنه قصيدة لا تُدرك أعماقها إلا بعد فوات الأوان.. فالأمم كالأفراد، كما يقول ابن خلدون، تشبُّ وتشيخ وتموت.. ولا استثناء!!.

براءة المسيحية
من الصهيونية المسيحية

مع ذلك، فإن دراسة البيانات الرسمية التي صدرت عن الكنائس وعن المجالس الكنسية المختلفة في أوروبا وكندا وأفريقيا وأستراليا وفي الولايات المتحدة تكشف عن إدانة شديدة للكيفية التي خاضت بها الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب، محذرة، كما جاء مثلاً في بيان لمجلس كنائس إسكتلندا ـ تعليقاً على المجازر التي وقعت في أفغانستان ـ من «الردِّ على قتل الآلاف من الأبرياء بقتل عشرات الآلاف من الأبرياء..».

كذلك فإن هذه البيانات الكنسية تكشف عن رفض كامل للمبررات التي اختلقتها الولايات المتحدة لشنِّ الحرب على العراق، وتؤكد على وصفها بأنها مبررات مفتعلة لتغطية قرار متخذ مسبقاً.

فقد أثار جيم وينكلر، مدير مجلس إدارة كنيسة الميثودست المتحدة، عاصفة في الدوائر المسيحية عندما قال: «لا يمكن أن نتصوَّر أن يسوع المسيح سيدعم هذا الهجوم المقترح».

وبعد أسابيع، كتب الميثودستيون إلى الرئيس بوش، الذي هو أحد أعضاء كنيستهم: «إن الحرب الوقائية ضد دولة كالعراق تتعارض مع كل ذرَّة من مفهومنا للإنجيل ولتعاليم الكنيسة ولضميرنا». وقال الأسقف Grisword، الذي دخل في مناظرة نقاشية مع الرئيس جورج بوش الأب:

«إننا ممقوتون، وأنا أعتقد أن العالم له كل الحق في أن يمقتنا.. أود الذهاب إلى مكان ما في العالم لا أضطر فيه للاعتذار عن كوني من الولايات المتحدة».

وكان قد التقى في برلين، في ٥ شباط ـ فبراير ٢٠٠٣م، رؤساء الكنائس المسيحية في أوروبا بدعوة من مجلس الكنائس العالمي، ومن مجلس كنائس أوروبا، والمجلس الوطني لكنائس المسيح في أميركا، ومجلس كنائس الشرق الأوسط في بيروت. استضافت الاجتماع الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا. كان هدف اللقاء إيجاد موقف مشترك للكنائس رداً على التهديد العسكري ضد العراق.

أعرب المجتمعون، في البيان الختامي للاجتماع، عن قلقهم حيال الدعوات المتكررة لعمل عسكري ضد العراق من قبل الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية، كما أعلنوا المواقف المبدئية التالية:

* تدعونا محبتنا للآخر، كأهل للإيمان، أن نعارض الحرب ونبحث عن حلٍّ سلمي للنزاعات. إننا نصلّي من أجل العدل والحرية والسلام والأمن لأهل العراق والشرق الأوسط عامة.

* إننا نرفض أن تعتبر دول العالم القوية الحرب أداةً مقبولة للسياسة الخارجية، من جديد. إن هذا يخلق جواً عالمياً من الخوف والتهديد وعدم الأمان.

* إننا نحذر من النتائج الطويلة الأمد لحرب كهذه في المجالات الاجتماعية، والحضارية والدينية وأيضاً الدبلوماسية. إن تغذية نيران العنف، التي تستهلك المنطقة، إنما سيزيد أفكار التطرف والكراهية قوة ويولِّد مزيداً من عدم الأمان والاستقرار دولياً. إن علينا، كرؤساء للكنائس المسيحية في أوروبا، واجباً أخلاقياً ورعوياً في تحدِّي كره

الغريب في بلدانا، وتخفيف مخاوف العالم الإسلامي بأن ما يُدعى الغرب المسيحي هو ضد الحضارة والدين والقيم الإسلامية. يجب أن نسعى للتعاون من أجل السلام والعدل وكرامة الإنسان.

وقد عبَّرت كنائس متعددة في إفريقيا وآسيا عن مخاوفها، بالنسبة إلى عواقب الحرب على العراق، على أوضاعها الداخلية المهددة بنزاعات مخفيَّة، وأشار ممثلو هذه الكنائس بأن ضربة عسكرية ضد العراق ستُعتبر في بلادهم بأنها أولاً وأخيراً هجومٌ تقوم به دولة مسيحية ضد دولة إسلامية، «ولهذه الأسباب نرفض رفضاً مطلقا كل خطط الحرب ضد العراق».

ولكن الحرب وقعت، وأدَّت إلى ما أدَّت إليه من مآسٍ إنسانية، ومن انهيار اقتصادي، ومن كارثة بيئية. يبقى المهم التأكيد على الموقف المبدئي وهو أن هذه المواقف الكنسية أكدت زيف أي ادعاء بأن الحرب الأميركية كانت حرباً صليبية جديدة. لقد كانت حرباً على العرب مسلمين ومسيحيين... وبالتالي كانت حرباً ضد القيم الإسلامية والمسيحية على حد سواء.

ولا شك في أن البابا يوحنا بولس الثاني كان رائداً في الدفاع عن قيم وعن أخلاق المسيحية في تصديه القوي للحرب على العراق، وفي تعاطفه الصادق مع معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي.

لقد كان قادة المسيحية والمؤمنون بها في وادٍ، والمخطِّطون للحرب على العراق والمتواطئون على الشعب الفلسطيني في وادٍ آخر، كان هدف هؤلاء، كما زعموا هم أنفسهم، «جرَّ» يد الله لوقوع مأساة نهاية الزمن.

فمنذ إطلالة الألف الثالث للميلاد، ارتفعت علامات استفهام كبيرة حول نهاية التاريخ، ذلك أن ثمة تصوُّرات روَّجتها عقيدة الصهيونية المسيحية تتضمن سيناريوهات لهذه النهاية تجمع بين الدين والأسطورة.

ففي العهد القديم من الكتاب المقدس، مثلاً، إن الله خلق الكون في سبعة أيام، وإن كل يوم عند الله يعادل ألف سنة، وإن عملية الخلق تمت في العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد، وهذا يعني أنه مرَّ على عملية الخلق حسب هذا الاعتقاد ٦٠٠٠ سنة، وبقيت الألف سنة الأخيرة التي بدأت مع الألفية الثالثة.

وفي هذه الألف سنة، يفترض، حسب أدبيات هذه الحركة، أن تقع أحداث كارثية تمهد لقيام الساعة، منها معركة هرمجيدون، ومن ثم العودة الثانية للمسيح الذي يحكم العالم بالعدل والقسطاس لمدة ألف عام، وهو ما يسميه أصحاب هذه العقيدة بالألفية.

من أجل ذلك تنتظر جماعات هذه الحركة في الولايات المتحدة وأوروبا وقوع كوارث كبيرة تمهد للمرحلة الأخيرة في الحياة الإنسانية، وهي تعتقد أن من واجبها المساهمة في تحقيق المشيئة الإلهية بالتعجيل بوقوع هذه الأحداث الكارثية، ولذلك كان الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان يقول إنه يتمنى لو يكرمه الله بالضغط على الزر النووي حتى تقع هرمجيدون ويعود المسيح!!.

ويقول أستاذ العلوم الفلسفية في جامعة أوريغون بالولايات المتحدة دانيال وجشيك، في كتابه «نهاية العالم الذي نعرف» إن الانجذاب إلى النبوءة الكارثية يكمن في أنها تقول بأن للوجود الإنساني وللتاريخ الإنساني هدفاً، وأنه لا بدَّ من أن يشرق عصر ذهبي يضع حداً للظلم وللشر المستشري في العالم.

ولعل كريستوفر كولومبوس كان أول من حمل هذه العقيدة إلى الولايات المتحدة. فقد كتب في مذكراته أن العالم سوف ينتهي في عام ١٦٥٠م، وأن اكتشافه للعالم الجديد هو جزء من خطة إلهية لإقامة جنة الألفية. وقال في مذكراته أيضاً «إن الله جعلني رسولاً إلى الجنة الجديدة

وإلى الأرض الجديدة التي تحدَّث عنها القديس يوحنا في نبوءاته، وهو الذي أرشدني إلى المكان الذي أجدها فيه».

وفي العصور الوسطى أخذت هذه الظاهرة الإيمانية بعداً آخر على يد الراهب جواشيم فيوري الذي وضع سيناريو مفصلاً لنهاية التاريخ، الأمر الذي أشعل الحماس الديني لشن الحروب الصليبية بين عامي ١٠٩٧ و١٢٩١، على قاعدة تحرير المواقع المقدسة من المسلمين.

وفي القرن التاسع عشر، رفع لواء هذه الظاهرة من بريطانيا جون نيلسون داربي، وقسَّم السيناريو، الذي وضعه، تاريخ الإنسانية إلى سبع مراحل، تتوج المرحلة السابعة منها بالعودة الثانية للمسيح. وقد هيمنت نظرية داربي على بعض الكنائس الإنجيلية في الولايات المتحدة، كما أوضحنا، ولا تزال تهيمن عليها حتى اليوم. ففي السبعينات من القرن العشرين توالى صدور الكتب التي تتناول هذا الأمر من زاوية هرمجيدونية.

ذلك أن الإيمان الديني لدى هذه الجماعات يجعل من الشرق الأوسط مسرحاً للأحداث الكارثية المحتملة، بما في ذلك معركة هرمجيدون (نسبة إلى سهل مجيدو الذي يقع بين القدس ويافا). وتعتبر هذه الجماعات أن سيناريو المعركة الفاصلة بين عالم الشر والعودة الثانية للمسيح قد بدأ تنفيذه، وأن من فصول هذا السيناريو، عودة اليهود إلى فلسطين، وقد عادوا، واحتلالهم القدس، وقد احتلوها، وأن من الفصول التي تنتظر التنفيذ تهديم المسجد الأقصى لإعادة بناء الهيكل الذي هدمه الرومان في عام ٧٠م، وهو الهدف التالي..

إن الاعتقاد قوي بأن النهاية المأساوية للتاريخ سوف تتم في العام الأول من الألفية الثالثة، ولذلك كان لحادث ١١ أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١م صدًى هزَّ المشاعر الدينية للمؤمنين بالنهاية الكارثية للتاريخ.

والواقع أن ثقافة النهاية الكارثية للعالم لم تنتظر قدوم الألفية الجديدة، إلا أن حرارتها ارتفعت مع هذه المناسبة. فقد سُجِّلت في العقد الأخير من القرن العشرين أحداث درامية من الانتحار الجماعي لمؤمنين بهذه النظرية في سويسرا وفرنسا وكندا، وفي عدة ولايات أميركية، بهدف التخلص من ويلات هذه النهاية والارتقاء إلى السماء من حيث يتوقع أن يهبط المسيح في عودته الثانية.

ففي عام ١٩٩٣م مثلاً تجمَّع عدد من هؤلاء «المؤمنين» الأميركيين في بلدة واكو بولاية تكساس بالولايات المتحدة معتصمين بعقيدتهم الجديدة التي عرفت باسم الداودية، نسبة إلى مؤسس الحركة دافيد كورش. وبعد حصار استمر ٥١ يوماً اقتحمت قوات الأمن مركز الاعتصام مما أدى إلى مقتل ٧٤ شخصاً من المؤمنين بالحركة كان بينهم كورش نفسه.

والواقع أن هاجس الألفية ليس مسيحياً فقط، إنه يعود إلى ما قبل المسيح بعدة قرون، وربما إلى زرادشت في العام ١٣٠٠ قبل الميلاد.

وكان هذا الاعتقاد متداولاً في الثقافة الفرعونية، وفي ثقافة ما بين النهرين، وكذلك في الثقافة الهندية، وفي نهاية القرن السادس عشر لم يعد غريباً حتى عن الثقافة الإسلامية.

عندما أسقطت الولايات المتحدة قنبلتها النووية فوق هيروشيما، في نهاية الحرب العالمية الثانية، سئل صانع القنبلة روبرت أوبنهيمر (الألماني الأصل) عن شعوره، فأجاب، مردداً ما ورد في إحدى الأساطير الدينية الهندية ـ «بهاغافا دجيتا» ـ قائلاً: «اليوم أصبحت أنا الموت.. مدمر العالم»!!.

محتوى الكتاب

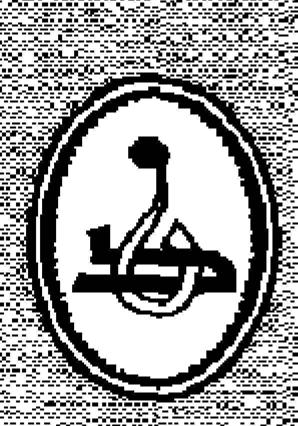
الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف

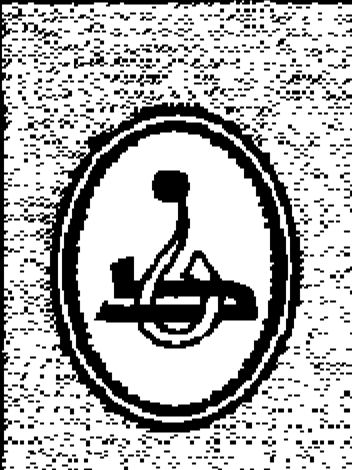
١ ـ القرار العربي في الأزمة اللبنانية	١٩٨٣	نفد
٢ ـ الأزمة اللبنانية في دوامة		
الصراعات العربية (كتيِّب)	١٩٨٤	نفد
٣ ـ الإرهاب والعنف السياسي (الطبعة الأولى)	١٩٨٧	
(الطبعة الثانية)	١٩٩٢	
٤ ـ الأقليات بين العروبة والإسلام	١٩٩٠	نفد
٥ ـ تأملات في الدين والإنسان والسياسة	١٩٩١	نفد
٦ ـ النبوءة والسياسة		
(ترجمة عن الإنكليزية) (الطبعة الأولى)	١٩٨٩	
(الطبعة الثانية)	١٩٩٠	
(الطبعة الثالثة)	١٩٩٠	
(الطبعة الرابعة)	١٩٩٨	
(الطبعة الخامسة)	٢٠٠٣	
٧ ـ الصهيونية المسيحية (الطبعة الأولى)	١٩٩٠	
(الطبعة الثانية)	١٩٩١	
(الطبعة الثالثة)	١٩٩٣	

٨ ـ المسلمون في لبنان	١٩٩٠	نفد
٩ ـ استراتيجية الربط العربية بين النفط والسياسة	١٩٩١	نفد
١٠ ـ تبعية الإعلام الحر	١٩٩١	نفد
١١ ـ العرب والأتراك في عالم متغيِّر (بالاشتراك)	١٩٩٣	
١٢ ـ هل الإسلام هو الهدف (كتيِّب)	١٩٩٣	
١٣ ـ التسوية السياسية إلى أين؟ (كتيِّب)	١٩٩٥	
١٤ ـ مقدمة إلى الحوار الإسلامي ـ المسيحي	١٩٩٨	
١٥ ـ موقع الإسلام في صراع الحضارات		
(الطبعة الأولى)	١٩٩٥	
(الطبعة الثانية)	١٩٩٩	
١٦ ـ التحولات المشرقية في السياسة المغربية	١٩٩٦	
١٧ ـ الاستغلال الديني في الصراع السياسي	٢٠٠٠	
١٨ ـ يد الله ـ ترجمة عن الإنكليزية	٢٠٠٠	
١٩ ـ العيش المشترك		
في الإسلام والمسيحية (بالاشتراك)	٢٠٠٢	





من منشورات «دار النفائس»



* الصهيونية المسيحية، محمد السماك.
* أحجار على رقعة شطرنج، وليام غاي كار.
* حكومة العالم الخفية، شيريب سبيرو دوفيتش.
* بروتوكولات حكماء صهيون، الدكتور إحسان حقي.
* الماسونية نشأتها وأهدافها، د. أسعد السحمراني.
* المال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية، عثمان بك كيريزلي زادة.
* النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، غازي محمد فريج.
* التوراة تاريخها وغاياتها، سهيل ديب.
* التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب.
* التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان.
* فضح التلمود، أي. بي. برانايتس.
* يهود اليوم ليسوا يهوداً، بنيامين فريدمان.
* البهائية والقاديانية، د. أسعد السحمراني.
* دم لفطير صهيون، نجيب الكيلاني.
* الغزو اليهودي للمياه العربية، الأرقم الزعبي.
* من اليهودية إلى الصهيونية، د. أسعد السحمراني.
* صناعة الإرهاب، د. عبد الغني عماد.
* لا للإرهاب.. نعم للجهاد، د. أسعد السحمراني.



رقم: 424 - 03